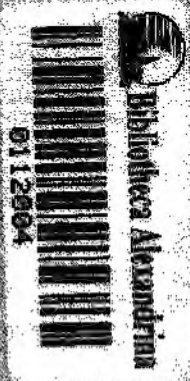


كتاب الأطلاق قسم ١٤

خليل عبد الكريم



لتطبيع الشريعة

.. لا للحكم

مجلس التحرير

د. إبراهيم سعد الدين
أبوسيف يوسف
حسين عبد الرازق
د. عبد العظيم أنيس
عبد الغفار شكر
عبد الهادي ناصف
د. محمد أحمد خلف الله

كتاب الأهالي يصدر عن جريدة الأهالي

حزب التجمع الوطني التقدمي الوحدوي

المراسلات: ٢٣ من عبد الخالق شروت - القاهرة

الآراء الواردة في كتب السلسلة لا تعبر بالضرورة عن رأي التجمع

كتاب الأمل

كتاب غدير دوى

رئيس مجلس الإدارة

خالد محي الدين

رئيس التحرير

لطفى واكد

مدير التحرير

صلاح عيسى

خليل عبد الكريم

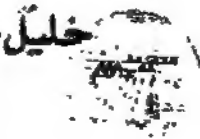
□ □ من مواليد اسوان . تخرج في مايو ١٩٥١ من
كلية الحقوق جامعة فؤاد الاول
□ □ قضى فترة التعيين على المحاماة بمكتب
الشهيدين الاستاذين عبدالقادر عودة و ابراهيم
الطيب - رحمهما الله تعالى -
□ □ اعتقل على ذمة جماعة الاخوان المسلمين عامي
١٩٥٤ في السجن الحربي و ١٩٦٥ (في سجن مزرعة
طرة)

□ □ نشر العديد من المقالات والابحاث في : الاهالي
والطلبة واليقظة العربية واوراق عربية والموقف
العربي والمصور وصوت العرب .
□ □ صدر له كتاب : مواقف الاسلام من العمل
والعمل ضمن المكتبة السياسية التي تصدرها امانة
التثقيف بحزب التجمع الوطني التقدمي الوحدوي .
□ □ من اليسار الاسلامي الذي يؤمن بان الشرائع
السماعية عموما قوى دافعة للتقدم وان جوهر
العقيدة في الاسلام هو التوحيد وجوهر الشريعة هو
العدل الاجتماعي - وانه ثمة تكون مصلحة
المستضعفين يكون شرع الله -
□ □ محام وعضو الامانة العامة لحزب التجمع
الوطني التقدمي الوحدوي .

كتاب الأطلاق رقم ١٤

خليل عبد الكريم

الهيئة العامة لمكتبة الأ... كندرية	
297.15	رقم التخصيص
ع. ب. ن.	رقم التسجيل
٥٠١٩٩	



لتطبيع الشريعة

.. لا للحكم

مقدمة

تطبيق الشريعة الإسلامية أصبح في الآونة الأخيرة مطلباً ملحاً ، نادى به الكثيرون ، ويقول المطلقون ، إن دولنا المطالبين به كثيرة ومتنوعة : منها السياسي والاجتماعي والاقتصادي والرومانسي والخارجي (الدولي والعربي)

فالدافع السياسي :

يقصد المناهضون به من ورثه ، للوثوب على السلطة لإنشاء حكومة دينية ثيوقراطية شعارها : للحكمية لله وحده ، وتكون هي ظل الله في الأرض وتحكم بالحق الإلهي لا تسمح بأحزاب معارضة ولا بصحف مناوئة ، لأنها هي ومن تحكم باسمهم (حزب الله) والآخرين (حزب الشيطان) صرح بذلك وأكثر منه أحدهم لحظة المصور ، ولهم في الحكومة الفارسية التي تدعى أنها إسلامية في إيران مثل وقوة .

لها الدافع الاجتماعي :

فيعتقد معتقوه أن التطبيق سوف يملأ الأرض عدلاً بعد أن ملئت جوراً وسينزل المن والسلوى من السماء وأنها ستعطر ذعباً ونفصاً ، وفي اليوم التالي ستختفي الشرور والآثام وتتحول البلاد إلى جنة عدن ينعمون فيها بالنعيم المقيم .

لها الدافع الرومانسي :

فتمثل أحلام أصحابه للوردية في عودة السيادة والكرامة والمهزة

والأمجاد للمسلمين وتحول الدول الإسلامية من العالم للثالث الى دول كبرى ، بل وتسحق الدولتين العظيمين أمريكا وروسيا كما فعل السلف الصالح بالروم والفرس •

لها الدافع الاقتصادي :

فيحصل لواءه الراسماليون الذين يفسرون الاسلام حسب مصالحهم فيتاح لهم ان يزاولوا أى نشاط (غير محرم) ما داموا يدفعون الزكاة : شركات المقاولات لبناء الشقق للتملك السوبر لوكس ، مطاعم الدرجة الاولى لتقديم الحمام المشى والكباب والجمبرى والاستاكوزا ومحطات للخدمة الآلية للسيارات وضبط العجل اتوماتيكيا ، ومحلات السوبر ماركت لبيع الهامبورجر واللانشون والسجق وأنواع الجبنة المستوردة والبضائع الاستهلاكية الاستقزازية ، وملابس المحجبات على أحدث الموضات العالمية - وهى أنشطة لا تخدم القاعدة المريضة من جماهير المسلمين بل هى تلبى شهوات اصحاب للدخول الطفيلية الانفتاحية •

أو مصارف (بنوك) وشركات توظيف أموال ترفع شعارا من القرآن الكريم (واحل الله البيع وحرم الربا) وتعطى عملاءها فوائد تحت أسماء المراجعة والمضاربة والمشاركة وهذا لا يمنعها من ايداع أموالها فى البنوك السويسرية والأمريكية الربوية كما اثبت ذلك بالوثائق بعض الباحثين - أو تفتيز فرصة الشدة والمجاعة فى بعض بلاد المسلمين فتحترك الاقتوات وتضارب عليها ، حدث ذلك فى السودان ونشرته مجلة وادى النيل المصرية شبه الحكومية •

وحتى تؤمن لنفسها الحماية الدينية تستخدم بعض كبار الوعاظ لديها بأجور اسطورية حتى يصدروا الفتاوى التى تبرر تصرفاتها وتضع عليها النقطاء الدينى المطلوب •

أو ينادون بتصفية القطاع العام وفتح الباب على مصراعيه
للقطاع الخاص ليفعل ما يشاء كما صرح بذلك أحد زعماء المطالبين
بالتطبيق في الحديث الذي أدلى به لجهة المصور (سبقت الإشارة
إليه) :

وبذلك يسيطرون على الاقتصاد سيطرة كاملة ويشكلون الركيزة
القوية للحكومة الدينية ظل الله في الأرض وليس في الإمكان أبدع مما
كان .

لها الدافع الخارجي ، الدولي :

فيتمثل في لهرين :

الأول : محاصرة الأفكار التقدمية خاصة ذات التوجه الاشتراكي
والتي تكشف عن الوجه الصحيح للإسلام وهو الوجه التقدمي الذي
يقف في خندق نصرة الجماهير المسحوقة والمضطهدة ويرسم لها
طريق الخروج من وسدة التخلف والتبعية .

الأخر : المحاولة الدؤوب التي تبذلها الامبريالية والصهيونية لشق
الوحدة الوطنية التي ربطت عنصرى الأمة (المسلمين والاقباط) برباط
وثيق أربعة عشر قرنا ، وذلك بعد أن بات بالفشل والاختفاق
والخيبة الأعمال التي كانت تهدف إلى إحداث فتنة طائفية فالصهيونية
والامبريالية تعرفان من دراستهما للتاريخ (في مصر) كيف أن الاقطاب
في عهود التخلف المملوكية والعثمانية وعلى خلاف أحكام القرآن
واحاديث أنرسول عليه السلام كانوا يعاملون كمواطنين من الدرجة
الثانية ، فلا يسمح لهم بتولي الوظائف العليا ، ولا الانخراط في
صفوف القوات المسلحة والشرطة ويتميز عليهم أن يتميزوا بلباس
مخصوص وتلبس نسائهم حذاء من لونين (كل غردة لون) ، حتى

يعرفن لنهن غير مسلمات ، ولا يركبون الدواب الفارحة وحتى الدواب
للخبيسة عليهم أن يترجلوا عنها عند مرور مسلم كبير المقام .

ويدفعون الجزية عن يد وهم صاغرون لا بأس أن يصك للوحد
منهم على قتاء بعد دفع الجزية . (المجتمع المصري في عصر سلطنة
الملك - د* سعيد عبد الفتاح عاشور) .

والمطالبة بتطبيق الشريعة الإسلامية - سوف تثير هذه الذكريات
الكرهية وأمثالها في نفوس اخوتنا القبط ومن ثم تنجح الامبريالية
والصهيونية فيما اخفقت فيه الفتنة الطائفية ، ويكون من حق القباط
المطالبة بانشاء دولة مستقلة ، ويتحقق مخطط الامبريالية والصهيونية
الذي يهدفان الى تنفيذه وهو تقسيم منطقة الشرق العربي الى دويلات
مزيلة يسهل عليهما ابتلاعها او على الاقل لحكام السيطرة على مقدراتها
وادخالها في فلك التبعية المطلقة للسفارة ونهب مواردها وجعل
اراضيها قواعد عسكرية وصحاريها مدائن للنفليات الذرية (مثل ما فعل
العمري المخلوع) وعولصها مركز المكاتب لاستخباراتها وموانئها
مراقب لاساطيلها وعطبل ليل للترفيه عن جنود المارينيز .

لها الخلف العربي :

فتتحل كبره المملكة العربية السعودية حتى تكون مصر ذيلا
لها وتأخذ منها بشارما الذي لا تنصاه (حملة محمد علي الكبير بقيادة
ابنه ابراهيم المعروفة بالحملة الوهابية) ويتحقق الحلم الكبير الذي
يداعب جنون من يقولون العرش من أبناء الاسرة السعيدة وهو أن
يضيف الولد منهم الى لقبه العالي والذي لم يصد يتفق مع
ظموحاتهم :

« خادم الحرمين الشريفين » - يضيف اليه لقب خليفة المسلمين
وامير المؤمنين ،

وحتى يتساوى للحكم الثيوقراطي الذى تمهد لقيامه فى مصر بعملية غسل الخلع التشريعية الاطراف والظواهر وبرزما طلب التطبيق الفورى للشريعة الاسلامية يتساوى مع الحكم القبطى والعشائرى الذى تظهر بها جماهير المسلمين فى شبه الجزيرة العربية وحتى يسرى مفعول الرسوم التى السعودى الذى يحرم قيام الاحزاب والافكار المستوردة (مجلة الطليعة المصرية مارس ١٩٨٥) وحتى يفتى علماء الدين فى مصر كما يفعل علماء الافاضل ، لافض الله لقواهم - بان الشورى ليست لازمة للحاكم بل هى اختيارية - وحتى - هذا هو بيت القصيد والغرض الجوهري - تقطع دابر التسامحيين والشاكسين الذين ينساقون بالديموقراطية ثم الاشتراكية اللتين يعتقدون انهما طوق النجاة لحل المشكلة الاجتماعية والاقتصادية التى تعاني منها للجامير المحرومة .

وحتى يعطى ملوكها السعداء - للتمام - لحساميهم الرئيس ريجان بان المنطقة أصبحت رهن الاشارة وطوع البنان وان شبح الاشتراكية للرعب الخيف لكليهما قد قطع دلبره والحمد لله .

وهذه الدوافع تدور جميعا فى فلك الدافع الخارجى فهو الذى يمسك فى يديه بالخيط الذى تحرك اصحاب الدوافع الاخرى وهذا ما سنوضحه فى الخاتمة بمشيئة الله تعالى .

وللقارى الكريم ان يختار ما يشاء من هذه الدوافع وله ان يأخذ بها جميعا ، واصحابها قد يختلفون ويتنكرون وقد يتعاونون فيما بينهم ، ولكن الذى لا شك فيه انهم يفتقون على شئ واحد : هو ان سندهم فى المطالبة بتطبيق الشريعة الاسلامية ، والذى يرفع مسوئته فى وجه كل من يحاورهم ، الآيات الكريمة الثلاث من كتاب الله العزيز التى وردت فى سورة المائدة :

(٠٠٠ ومن لم يحكم بما أنزلنا أولئك هم الكافرون -
الظالمون - الفاسقون) ٠ فهل المقصود حقيقة بهذه الآيات أو بالأدق
أجزاء الآيات المذكورة هو لقائمة الحدود التي وردت على سبيل الحصر
في الشرائع السابقة والتبريمة الإسلامية أم الحكم بمعنى الشامل كما
يذهب إليه السلفيون الجدد وأصحاب تلك الدوافع - البعض منهم
يحسن نية والبعض الآخر عن بسوء قصد وخبث طوية ؟ الإجابة على
هذا السؤال الجوهري هي الموضوع الرئيسي لهذا الكتاب والله تعالى
نسأل أن يوفقنا إلى الصواب وهو سبحانه من وراء القصد ٠

خاتمة عبد الكريم

الفصل الأول

اسباب نزول هذه الآيات

حتى نفسير أى آية من كتاب الله تعالى تنسيرا صحيحا منزها
عن الهوى وبريئا من الغرض ، نعود الى معرفة مسبب أو مناسبة
نزولها .

وفى هذا يقول أبو الحسن على الواحدى النيسابورى فى كتابه
الرائد (اسباب للنزول) :

(... لبانة ما انزل فيه من الاسباب اذ هى اوفى ما يجب
للقوف عليه ولولى ما تعرف العناية اليهما لاجتماع تفسير الآية
وقصد سبيلها دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها) .

فهنا نرى الواحدى يبلغ بالأمر حد الامتناع عن التفسير للآية
أو مجموع الآيات أو السورة ما لم نعرف سبب النزول - وهذا يؤكد
الرابعة الحميمة بين الآية وسبب أو مناسبة النزول .

وبذلك يكون سبب النزول اشبه بما نسميه فى أيامنا هذه -
المذكرة التفسيرية للقانون - والله تعالى المثل الاعلى والمستغلون بالقانون
يعرفون أنهم عندما يستشكل عليهم تفسير مادة من مواد القانون
أو لمرفة قصد المشرع منها يرجعون الى المذكرة التفسيرية .

(وكان الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين • اذا لم يجدوا التفسير في كتاب الله تعالى ولم يتيسر لهم اخذُه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم رجعوا في ذلك الى اجتهادهم واعمال رايهم ، وساعدهم على التفسير انهم عرب خالص يعرفون معاني آيات الله واسرارها وانهم عاشوا فترة نزول الوحي مع الرسول يعرفون اسباب النزول واخبروا ما احاط بالقرآن من ظروف وملابسات تعين على فهم كثير من الآيات) من كتاب علوم التفسير للدكتور عبد الله محمود شحاته نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب •

وقال ابن حقيق العيد : (بيان سبب للنزول طريق قوى في فهم معاني القرآن) •

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية : (معرفة سبب النزول تعين على فهم الآية فان للعلم بالسبب يورث العلم بالسبب ، وقد اشكل على جماعة من السلف معاني آيات حتى وقفوا على اسباب نزولها فزال عنهم الاشكال) •

من مقدمة كتاب اسباب النزول للامام جلال الجين السيوطي نشر كتاب التحرير الذي اصدرته دار الشعب •

(لن بعض الآيات لا يمكن فهمها لو معرفة احكامها الا على ضوء سبب النزول) •

محمد على الصابوني في التبيان في علوم القرآن - نشر دار عمر بن الخطاب بالاسكندرية واورد اربع فوائد لاسباب النزول منها تفصيل الحكم بالسبب • وفي هذا القدر غناء لتوضيح الفكرة ومن اراد المزيد فعليه بكتاب (الاتقان في علوم القرآن) للسيوطي •

اذن لو اردنا فهم الآيات الثلاث (خاولئك هم الكافرون - الظالمون - الفاسقون) فهما صحيحا ولو قصدنا تفسيرهما للتفسير

الحق - الذى لا تخالطه شائبة من حوى لو غرض فطينا ان نعرف
اسباب نزولها - ولنا في سلفنا للصالح قدوة حسنة .

يشرح لنا الواحدى اسباب نزول الآيات من (يا ايها الرسول
لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر) الى (فاولئك هم الكافرون)
بقوله :

(عن البراء بن عازب قال : مر رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم على يهودى محمداً (مسود الوجه) مجلوداً قدعاهم فقال :
اهكذا تجدون حد الزانى في كتابكم ، قالوا : نعم ، فقال فدعا رجلاً
من علمائهم فقال : انشعك الله الذى انزل التوراة على موسى عليه
السلام ، هكذا تجدون حد الزانى في كتابكم ؟ قال : لا ولولا انك
نشدتني الله لم اخبرك ، تجد حد الزانى في كتابنا للرجم ، ولكنه كثر
في اشراقنا فكان لا اخذنا للشرىف تركناه واذا اخذنا الوضيع اتينا
عليه الحد ، فقلنا نجتمع على شئ نعيه على الشريفة والوضيع
فلجئنا على التحميم (تسويد الوجه) والجلد مكان الرجم ، فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم انى اول من احيا ابوك اذ
لماتوه ، فامر به فرجم - فانزل الله تعالى : يا ايها الرسول) ..

اما الامام جلال الدين السيوطى - في اسباب النزول - فهو يروى
سببا جديدا لهذه الآيات : (عن احمد وابو داود عن ابن عباس قال :
انزلها الله في طائفتين من اليهود قهرت احباها الاخرى في الجاهلية
حتى ارتسوا فاسطحووا على ان كل قتيل قتله العزيزة من الذليلة
فدفعته خمسون وسقا وكل قتيل قتله الذليلة من العزيزة فحيفته مائة
وسق فكانوا على ذلك حتى قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقتلت الذليلة من العزيزة قتيلاً فارسلت العزيزة ان ابعثوا اليها
بمائة وسق فقاتلت الذليلة : وهل كان ذلك في حين قط ، دينها واحد

ونسبتها واحدة وولدها واحد دية بعضهم نصف دية بعض ؟ -
لنا اعطيناكم هذا ضيها منكم لنا وخوفا وفرقا قلما اذا قدم محمد
فلا نعلمكم - فكانت الحرب تهيج بينهما ثم ارتضوا على ان جعلوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما ، فارسلوا اليه ناسا من
المنافقين ليختبروا رايه فانزل الله : (يا ايها الرسول ٠٠٠) الى آخر
الآيات) هذا بالاضافة الى السبب السابق الذى اوردته الواحدى
النيسابورى .

والامام ابن كثير فى كتابه المعروف (تفسير القرآن العظيم) يروى
(انها نزلت فى اقوال من اليهود قتلوا قتيلًا وقالوا تعالوا نتحاكم الى
محمد فان لفتانه بالدية فخذوا ما قال وان حكم بالقصاص فلا تسمعوا
منه ثم ذكر واقعة زنا اليهوديين وواقعة اختلاف قيمة الدية بين القبيلة
المزيزة والقبيلة للزبالية لليهوديتين) .

وختم ذلك بقوله :

وقد روى للمعوى وعلى بن طلحة للوالبى عن ابن عباس : ان هذه
الآيات نزلت فى اليهوديين اللذين زنيا كما تقدمت الاحاديث بذلك .
وقد يكون اجتمع هذان السببان فى وقت واحد فنزلت هذه الآيات فى ذلك
كله ، والله اعلم) - هذه هى اسباب نزول هذه الآيات كما رواها
الائمة اللغات فى كتبهم المتقدمة نقلا عن الاحاديث التى وردت فى
الصحاح والمسانيد التى اجمع المسلمون عليها - ويتضح منها
جميعها بلا خلاف انها اسباب تتعلق باقامة الحدود سواء فى القتل
او الزنا - وبذلك تكون صلتها بالحكومة مثبتة ومن ثم فان محاولة
جرما الى نطاق الحكم من قبل السلفيين الجدد ضرب من التعسف
العارى من السند الوثيق الذى يؤزره ودفهمهم الى ذلك طموح
الى الحكم .

ونعمود بالله تعالى أن تتخذ آياته مطية للأغراض ..

ولا يصح هنا الاحتجاج بالمبدأ المشهور في أصول الفقه (المبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب) لأن أعمال المبدأ المذكور موقوف على شرط وضوح اللفظ وعدم الالتباس بالغير وأنه يفيد العمومية وليس الأمر كذلك بالنسبة إلى لفظ (الحكم) للورد في الآيات الثلاث مدار الحديث إذ التباس على القائلين بالحاكمية فاعتبروه عاما فسحبوا أثره على الحكومة أو إدارة الدولة واعتبروهما مترادفين ، في حين أن الحكم الوارد في تلك الآيات خاص بالقضاء بين الناس ولا صلة له بالحكم السياسي كما نعرفه في أيامنا هذه ، وهذا ما سوف يتأكد من تفاسير القسما .

يقول للراغب الاصفهاني في المفردات في غريب القرآن : (والحكم بالشئ أن تنقض بانه كذا وليس بكذا سواء أقررت غيرك أو لم تنزله قال تعالى (وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل) (يحكم به نوا عدل منكم) .

وقال : فالحكم كحكم فتاة الحي إذ نظرت إلى حمام سراع ولود التمد)

يقصد أن هذا هو ما تعرفه العرب من كلمة (حكم) وأورد أمثلة أخرى كثيرة منها قوله تبارك وتعالى (حتى يحكموك فيما شجر بينهم) وعرف الجرجاني في التعريفات الحكم بأنه (استناد أمر إلى آخر إيجابيا وسلبيا) ولا صلة لهذا بإدارة الدولة والقرآن يفسر بعضه بعض ، فالآيات :

(أن حكمت فاحكم بينهم بالقسط) .

• (وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالحق) •

• (خصمان بنى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق) •

• (فإن جازك فاحكم بينهم أو اعرض عنهم) •

من الذى يقول عنها انها تمنى الحكومة اى سياسة الامة ولا تعنى
القضاء بين الناس •

ويكون اللبس فى الفهم سواء عن قصد أو غير قصد للآيات الثلاث
واعتباره عاما فى حين أنه خاص مانعا من انزال مجاز (المبرة بمعوم
اللفظ لا بخصوص السبب) - وعلماء اصول الفقه عندما شرحوا هذا
المبدأ اتوا بأمثلة لفظها واضح وضوح الشمس فى رابعة النهار فى يوم
صائف فى الدلالة على العمومية مثل حديث الرسول صلى الله عليه
وسلم عن ماء البحر (هو للظهور ماؤه ، للحل ميتته) الذى روته
كتب السنة الصحيحة ورواه الدارقطنى فى مسنده فى ست عشرة صيغة ،
فهنا فلا غموض فى لفظ الماء والميتة ويكون الحديث شاملا لمن سأل عنه
ولسائر الناس - وكذلك حديث جسد للشاة الميتة الذى رواه
الدارقطنى فى ما يقرب من ثلاثين رواية (إذا بيع الإهاب فقد ظهر)
فالفأله عامة وليس فيها غموض أو إيهام ويكون من يقول عن الحديث
أنه خاص بشاة السيدة ميمونة أم المؤمنين رضوان الله عليها
قد أخطأ •

اذن انسحاب الحاكمية على تلك الآيات مدار للبحث لا تشفع له
تأعده (المبرة بمعوم اللفظ لا بخصوص السبب) لأن ليس عاما
ولكنه خاص بالقضاء وهذه دون سياسة الامة •

الفصل الثاني

كيف نسر السلف الصالح هذه الآيات

لم يقل أحد من قدامى المفسرين إن الآيات المباركات الثلاث :
(فأولئك هم الكافرون - للظالمون - للفاستقون) تمنى الحاكمية لله
أو الحكومة الدينية أو للحكم بالحق الإلهي - إنما ذهب إلى ذلك
بعض السلفيين الجدد وللذين تدفعهم طموحات سياسية على وجه
التحديد .

ونحن لا نزعم أننا اطلعنا على جميع ما خلفه القدامى من تفاسير
فذلك ثراث جليل يستحيل على فرد واحد أن يستوعبه ولكننا نكتفي
ببعضها لتأكيد ما نذهب إليه وهو ما حاز شهرة واسعة وتلقته
الامة بالتبول .

ونبدأ بتفسير حبر الأمة والذي دعا له الرسول عليه الصلاة والسلام
بالفقه في الدين والعلم بالتأويل .

والمعروف بتقوير القياس من تفسير ابن عباس الذي جمعه
الفيروز أبادي صاحب القاموس ، ونحن نعرف أن البعض شكك
في نسبته لابن عباس رضي الله عنهما ، ومع ذلك فهو يعتبر من التراث
لأن جامعه من أعلام القرن التاسع الهجري (بيننا وبينه ستة قرون)
لماذا لم يسفر عن رأى ابن عباس فهو على الأقل يحمل رأى جامعه
الفيروز أبادي :

(ومن لم يحكم بما أنزل الله) ومن لم يبين ما بين الله من صفة محمد ونعته وآية الرجم (فأولئك هم الكافرون) بالله والرسول والكتاب .

(ومن لم يحكم بما أنزل فأولئك هم الظالمون) يقول : ومن لم يبين ما بين الله في القرآن ولم يعمل به فأولئك هم الضالون لأنفسهم في العقوبة .

وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون) .

(تفسرها : وليبين أهل الإنجيل بما بين الله في الإنجيل من صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته والرجم ومن لم يبين ما بين الله في الإنجيل فأولئك هم المفسدون الكافرون) .

وسياق الآيات يدور حول الرجم والقتل والجروح وفقا للمعنى وجدع الأنف وقطع الإذن وقطع اللسان وليس فيها إشارة لا من قريب لا من بعيد عن الحكومة أو إدارة مؤسسات الدولة الخ .

أما أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي في كتابه الجامع لأحكام القرآن المعروف بتفسير القرطبي فيقول :

(وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله) قال الحسن : هو الرجم وقال قتادة هو القود .

ومعناه بصريح العبارة أن الحكم الوارد في الآيات الثلاث مدار البحث يتعلق بحد من الحدود لبالحكمة أو الدولة .

(ثم يأتي القرطبي الذي تفسر (فأولئك هم الكافرون والظالمون والفاسقون) فيقول : نزلت كلها في الكفار ثبت ذلك في صحيح مسلم من حديث البراء وعلى هذا المعظم أي ما استقر عليه معظم المفسرين) .

وشرح أبو القاسم لأزمخشري الخوارزمي في كتابه للكشاف عن حقائق التنزيل وعيون التأويل في وجوه التأويل : الحكم الوارد في الآيات المذكورة بأنه : يحكم بالحكم التوراة النبيون ما بين موسى وعيسى وكان بينهما ألف نبي ، وعيسى للذين آمنوا على أحكام التوراة لا يتركونها أن يبدلوا عنها ؛ كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم من حملهم على حكم الرجم ولزغهم آتونهم وإبائه عليهم ما اشتبهوه من الجاد .

وينقل عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قوله أن الكافرين والظالمين والفاستق أهل الكتاب .

وفي تفسير مقاتل بن سليمان وهو من أقدم التفسيرات توضيح صريح أن التصود بالحكم في هذه الآيات يعني الرجم على الحصنة والتحصن في الدماء سواء ، قاله عندما فسر (وكيف يحكمونك وعندهم التوراة وفيها حكم الله) ويقول في تفسير الآيات الثلاث :

(ومن لم يحكم بما أنزل الله) في التوراة بالرجم ونعت محمد (فأولئك هم الكافرون) (ومن لم يحكم بما أنزل الله) في التوراة من أمر الرجم والقتل والجراحات (فأولئك هم الظالمون) .

(ومن لم يحكم بما أنزل الله) في الإنجيل من العفو واعتصم من القاتل والجراح والصلاب (فأولئك هم الفاسقون) .

هذا ما يقوله ابن مقاتل الذي عاش شبابه في القرن الأول وامتنع به العمر حتى منتصف القرن الثاني من الهجرة المباركة على صاحبها أفضل للصلاة والسلام - وهو التفسير الذي يقول عنه محققه الدكتور عبد الله محمود شحاته رئيس قسم الشريعة بكلية دار العلوم جامعة القاهرة والذي يحظى باحترام كبير من المسلمين الجدد (أقدم تفسير كامل للقرآن وصل لينا جمع فيه مقاتل بين النقل

والعقل لو بين القرواية والدراوية وتمييز بالبساطة واليسر والاعتماد على تفسير القرآن () .

وفسر الامام السيوطي في تفسير الجلالين حكم الله الوارد في سياق هذه الآية بأنه حكم الله بالرجم .

(ومن لم يحكم بما أنزل الله) قال في القصاص وغيره (فلو أنك هم اللطالون) ويتصد بغير القصاص ، للدية وغيرها مما يدور في نطاق اقامة الحدود .

وللحافظ ابن كثير تفسير ذلك للصيت يسمى (التفسير العظيم) يورد نص الآيات من ٤١ الى ٤٤ من سورة المائدة التي تنتهي بـ (هم الكافرون) ويقول مفسرا لها :

قيل : نزلت في أقولم من اليهود ، قتلوا قتيلًا وقالوا تمالوا نتحكم الى محمد فان لقتلنا بالدية فخذوا وان حكم بالقصاص فلا تسمعوا منه .

ثم يستطرد قائلا والصحيح انها نزلت في اليهوديين اللذين زنيا وسرد القصة التي لورضاها أنفا في باب اسباب النزول وان اختلفت العبارة ومن ثم فلا ارى موجبا لتكرارها .

ثم يقول (وقد يكون اجتمع هذان السببان في ذلك كله والله اعلم) .

أى ان الآيات جاءت مباشرة لتعالج مسألة محددة وهي اقامة الحدود والقصاص التي وردت في كتب الله .

وليعذرنا للقارىء إذا أطلقنا الاستشهاد بفقرات من التفسير القديمة ولكن قصدنا من ذلك أن نثبت للأخوة السلفيين المحبدين الذين يحرفون الكلم عن مواضعه أن هذه الآيات الثلاث سندهم في الحاكمة لله والحكومة الدينية للثيوقراطية بعيدة كل البعد عن هذا النطاق وأن الله تبارك وتعالى أنزلها على رسوله الكريم - صلى الله عليه وسلم - لمعالجة الحدود النصويى عليها في كتاب الله الخزانة على رسله وعدم التجاوز عنها لاي سبب من الاسباب خاصة إذا كان مرتكب الجريمة التي تستوجب الحد من الاشراف (الرأسمالية الفاجرة والبرجوازية الكبيرة المتسلطة) .

وإن محاولة تجميع هذه الآيات لتشمل الحكومة وإدارة الدولة هو لوى لاعناق تلك الآيات وتحريف للكلم عن مواضعه .

ولانعتقد ان السلفيين للجد الذين يخفون أطماعهم السياسية وراء أئقعة دينية ويستترون شهواتهم الى الحكم خلف شعارات اسلامية - لانعتقد أنهم يسمحون لانفسهم بمساواة حبر الأمة ابن عباس أو مقاتل بن سليمان أو للسيوطى أو ابن كثير أو الزمخشري في فهم القرآن الكريم وتاويله وتفسيره .

ان الأمر هنا لايمحو احتمالن لا ثالث لهما :

الأول : ان ابن عباس - رضى الله عيها - ومن ذكرنا من ائمة التفسير كانوا يطمون ان هذه الآيات تشمل الحكومة والحدود معا ولكنهم قصروها على الحدود وحاشا لله ان ينسب اليهم ذلك .

مع استحالة استمرار توأطئهم على ذلك منذ القرن الأول الهجرى حتى العاشر وما بعده .

فأنهم للأسف الشديد لم يستطيعوا أن يستوعبوا أسرار اللغة العربية وإن ألم البعض منهم بها قراءة وكتابة وأظلم نطقا وحديثا - ومرجع هذا إلى عزلتهم في شبه القارة الهندية الأمر الذي وقف حائلا بينهم وبين فهم القرآن الكريم واللغة المطهرة وعلوم القرآن والسنة وسائر العلوم الدينية كما يفهمها العرب .

مثلهم المستشرقين ورغم جهودهم المضنية التي بذلوها لاجادة اللغة العربية فإنها استعصت عليهم .

ولكن مؤلاء الآخرين لو إذا شئنا الدقة للكثير منهم يزيد على الهفادكة بسوء الطوية وخبث الذية للباعت لهما الاحتقاد الصليبية الدينية وتمثل ذلك كله في المحاولات المستميتة من أولئك البعض في الطعن على القرآن والاساءة إلى شخص الرسول صلى الله عليه وسلم وإشاعة روح الهزيمة في المسلمين تحقيقا للطامع الاستعمارية لدولهم خاصة وقد ثبت أن كثيرا منهم كانوا موظفين في أقلام استخبارات تلك الدول .

وقد أدى ضعف علماء شبه القارة الهندية في اللغة العربية أن طلعوا علينا بمقولات ونظريات في الحقيقة ما أنزل الله بها من سلطان ولم يقل بها أحد من الأولين .

ولذلك لم يكن عجبا أن يرى نبي الأعلام اليهودي في مسألة المرأة والحجاب موغلا في الجمود والتحجر والانغلاق متأثرا في ذلك بالعادات والتقاليد السائدة في منطقته وهذا ما دفع رجاء جارودي - الذي فرح به السلفيون للجدد وباسلامه وأصبح بعد ذلك البسدر الطالع والنجم الساطع - في كل مؤتمر إسلامي - دفعه ذلك إلى القول بأن حجاب المرأة ليس له سند من الكتاب والسنة إنما هو عادة فارسية قديمة (وعود الاسلام ترجمة ذوقان قرقوط - طبعة مديولي)

وينكر ابو الاعلى المودودي للوطنية والديموقراطية والقومية ولم يستطع ان يفرق بينها وبين العصبية التي نهى عنها المعصوم عليه السلام - ومزج بينهما وطلع على الناس بنظرية جديدة أطلق عليها (للعصبية القومية) ولقد أنها قمة العداء للإسلام - (انظر كتابه بين الدعوة القومية والرابطة الإسلامية - دار الانصار بالقاهرة) - ولا مجال في كتابنا هذا للدرد على ذلك للخط الغريب - والذي يهمننا هنا هو نظرية الحاكمية لله تعالى التي شرحها في كتابه (نظرية الاسلام السياسية) و (منهاج الانقلاب الاسلامي) ، (ان الاساس الذي يقوم عليه بناء الدولة الإسلامية تصور - مفهوم - حاكمية الله للواحد الأحد - وإن نظريتها الأساسية ان الأرض كلها لله وهو ربها والمتصرف في شئونها فالأمر والحكم والتشريع كلها مختصة بالله وحده وليس لفرد أو أسرة أو طبقة أو شعب بل لا لتنوع البشرى كافة من سلطة الأمر والتشريع فلا مجال في حظيرة الاسلام ودائرة نفوذه الا لدولة يقوم فيها الرء بوظيفة خليفة الله تباركت أسماؤه ولا تنأى هذه الخلافة بوجه صحيح الا من وجهتين اما أن يكون ذلك الخليفة رسولا من الله أو رجلا يتبع الرسول فيما جاء به من الشرع والقانون من عند ربه) ص ١٣ من منهاج الانقلاب الاسلامي - دار الانصار بمصر .

هكذا بمنتهى الوضوح لارأى للشعب وإن الحاكم هو خليفة الله اى ظل الله في الأرض ولا يجدى التحفظ الذي أورده من ان ذلك الحاكم يتبع الرسول فيما جاء به من الشرع والقانون من عند ربه .

لأن الذي سيحدث وقد حدث فعلا ان الحاكم الفرد المطلق يدعى أنه يتبع الرسول عليه السلام - فيما يصدر عنه من قول أو عمل أو تشريع كما ادعى ذلك للخليفة السادس نعمى به محمد بن جعفر

النميرى في السودان منذ قليل وكما يفعل حاليا محمد ضياء الحق ملاغية
باكستان وليس ببعيد الاستفتاء الذي تم بجمعة أجهزة القمع وجزرالات
القمع (تبعه) وادعاؤه أن توليه الرئاسة معناه تطبيق الشريعة
الاسلامية ، فهو والشريعة سواء .

وكما يحكم الخميني ايران حكما مطلقا مدعيا انه يطبق الشريعة
الاسلامية ، فقد ذكر أحد المتخصصين له والمجيبين به وهو الأستاذ
محمد حساني ميكل بعد زيارته لايران ان سلطات الخميني مطلقة
وبلا حدود وانها غاقت بما لا يقاس عليه سلطة للشاه المخلوع (مدافع
آية الله - طبعة دار الشروق بمصر) .

هكذا تكون كلمة الحاكم في نظر المودودي رحمه الله وغفر له هي
القانون المطلق الذي لا راد له .

لذ سوف يدعى كل حاكم - وهذا بديهي - انه متبع للمصنوم
عليه الصلاة والسلام دون رقابة من مؤسسات دستورية وبلا احزاب
معارضة وبلا صحف مناوئة وهذا هو بيت القصيد الذي يهدف اليه
السلفيون للجدد في مصر المحروسة والحلم الذي يداعب جنونهم من
وراء رفعهم لشعار تطبيق الشريعة الاسلامية وتمسحهم بالآيات للثلاث
وحتى يخلوا لهم الجو فهم حزب الله وغيرهم حزب الشيطان كما خلا
الجو لروح الله الخميني وزمرته الفاشية .

ولنقارن بين فهم الصديق رضوان الله عليه وبين فهم المودودي
للالسلام نصا وروحا ، فمما هو معلوم ان لبنا بكر الصديق بعد ان
تولى الخلافة ناداه أحد المسلمين (يا خليفة الله) ولكنه أبى عليه
ذلك وقال (انا خليفة رسول الله) .

فهو بفهمه العميق للالسلام وبوعيه للنفاذ علم ان لقب خليفة الله
سوف يحول حكام المسلمين من بعده الى طواغيت لا يجرؤ أحد على

مناقشتهم ولا نقول معارضتهم لانهم ظل الله في الارض - ولكن
المودودي لم يستطع ان يستوعب هذا الفارق للتحقيق والخطير في ذات
الوقت فاباح ان يكون حاكم المسلمين (خليفة لله) كما اوردها فيها
سلف - وهذا الفهم المغلوط نشأ عن استحالة تعمقه لاسرار للغة
العربية والقرآن والسنة .

ونعيد بالله ، القارئ الكريم ان يظن بكاتب هذه السطور للتعصب
او الدعوة الى المصيرية ولكن هذا هو رأى لثمة للشريعة الذين
تجلهم الامة :

يقول الامام الشافعي وهو العلامة المحقق الاصولي في كتابه
(الاعتصام) :

(فعلى الناظر في الشريعة والتكلم فيها اصولا وفروعا الا يتكلم في
شيء من ذلك حتى يكون عربيا - او كالعرب في كونه عارفا بلسان
العرب بالغا فيه مبالغ العرب او مبالغ الائمة المتكلمين كالخليل وسيبويه
والكسائي والفراء ومن اشبههم وداناهم) .

وابو الاعلى المودودي مع الاحترام - ليس عربيا ولا تبلغ معرفته
بالغة العربية مبلغ العرب ودعك من مبلغ الخليل ونظرائه ، بل
(انه لم يكن من العلماء بالمعنى التقنيدي) (انظر كتاب التوحيد
والتفسير للدكتور كلیم صديقي من منشورات الزهراء للاعلام العربي
بمصر) .

ويقول الشافعي عالم قريش الذي ملا طباق الارض علما (فمن جهل
هذا من لسان العرب فتكلف القول في علمها تكلف ما يجهل لفظه اذ
بلسانهم نزل القرآن وجاءت السنة به) .
وعن الحسن (ارجح انه للبصري) .

(املكتم العجة يتأولونه غير تأويله) •

رحمه الله كأنما كان ينظر من وراء حجب الغيب وكأنما كان يولى وجهه صوب شبه القارة الهندية حيث لبتدع المونودى - رحمه الله - بعد أربعة عشر قرناً نظرية لم يقل بها أئمة الهدى السابقون •

وعنا الله عن الشهيد سيد قطب قرا هذه النظرية (الحاكمة) فاعجبته ولاقت موى في نفسه فنقلها في الظلال وفي كتبه الأخرى بنصها ونفسها مع الزيادة والإطناب والإطالة والشرح والتفصيل ، ولكن للسند أعوزه وافتقر إلى الدليل الذى يؤازره - لمخالفة هذه النظرية للهندية - لأسباب النزول وتفسير أئمة الهدى من الأقدمين •

لشهاد صاحب الظلال - رحمه الله في شأن الآيات من (يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر) إلى (أفحكم الجاهلية يبعون ومن أحسن من الله حكماً بيوتتون) وقد تضمنت الآيات الثلاث مدار البحث - قال ما يلي :

(والله سبحانه يقول ان المسألة في هذا كله مسألة إيمان وكفر أو اسلام وجاهلية وشرع وهوى ، وأنه لا وسط في هذا الامر ولا هنة ولا صلح ، فالؤمنون الذين يحكمون بما أنزله الله ، لا يخترعوا منه حرفاً - ولا يبطلون منه شيئاً والكافرون الظالمون الفاسقون هم الذين لا يحكمون بما أنزل الله إنما لن يكون للحكام قائمين على شريعة الله كاملة في نطاق الإيمان وإما لن يكونوا قائمين على شريعة أخرى مما لم يأنزل الله به فهم الكافرون الظالمون الفاسقون ، وإن الناس أما يقبلوا من الحكام والقضاة حكم الله وقضاءه في أمورهم فهم مؤمنون وإلا فما هم بالؤمنين ولا وسط بين هذا الطريق وذلك - ولا حجة ولا مضرة ولا احتجاج بمصلحة - فإله رب الناس يعلم ما يصلح للناس ويضع شرائعه لتطبيق مصالح الناس الحقيقية ، وليس أحسن من

حكمه وشريعته حكم او شريعة وليس لاحد من عباده ان يقول :
اننى ارفض شريعة الله او انفى لبعثه بمصلحة للخلق من الله فان
قالها بلسانه او بفعله فقد خرج من نطاق الايمان) *

نفس نظرية المودودي ولكن بتوسع وتفصيل ولاننى لم يقل بها احد
من ائمة الهدى من سلفنا الصالح ممن فسر الكتاب الشريفي ولا مناسبة
نزول الايات تسعفه ولم يقل لنا رحمه الله ، سنده في هذا ، وهناك
تحذير خطير من الله ومن رسوله صلى الله عليه وسلم ومن بعده من
الصحابه ومن التابعين من تفسير القرآن بالهوى (فلما الذين في قلوبهم
زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تاويله وما يعلم
تاويله الا الله) *

وعن الرسول عليه الصلاة والسلام (من تكلم في القرآن براهي فاصاب
فقد اخطا) *

ويقول عبد الله بن عمر رضى الله عنهما (لقد اضركت فقهاء الدينه
وانهم ليغضوبون القول في التفسير ، وفكر منهم سعيد بن المسيب -
وهو امام جليل) *

وكان الشعبي وهو من فضلاء التابعين يقول : (ثلاث الا اقول فيهن
حتى اموت : للقرآن ، الروح ، الراي) *

ولكن الشهيد سيد قطب غفر الله له - تجرأ على كتاب الله الذي
عظم القول فيه جلة الصحابة والتابعين - رضوان الله عليهم - وقال
فيه براهيه سحب نظرية الحاكمية من نطاقها المحدود الضيق وهو اقامة
الحدود حتى جعلها تشمل الاشياء جميعها وعلى رأسها الدولة والحكم
مخالفا بذلك للسلف الصالح واسباب النزول *

ومن للمجيب أن اسباب النزول بداهة لم تنته فذكرها او ذكر
بعضها ولكنه بعد قليل يقول : (والرسول صلى الله عليه وسلم

المسلم والقاضي المسلم انما يتعامل مع الله في هذا الشأن وانما يقوم بالتسوط لله *

واما عن القاضي المسلم فنوافقه على ذلك ولكن الآيات المذكورة لا تنص الا على مسألة الحدود اما دعواه بخروج من لا يطبق تلك الآيات حتى في الحدود من نطاق الايمان فلم يقل بها أحد سواء - ودفعه الى هذه للثرة اعجابه الشديد بنظرية للحاكمية التي ابتدئها اخوتنا الهنود تجاوز الله عن سيئاتهم - والى القارى الكريم الادلة الدوامخ :

قال وكيع عن سفيان عن سعيد المكي عن طاووس (ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون) قال ليس بكفر ينقل عن الله *

وعن ابن عباس في قوله (ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون) قال : (ليس بالكفر الذي يذهبون اليه) *

رواه الحاكم في مستدركه من حديث سفيان بن عيينه وقال صحيح على شرط الشيخين بل ان عددا من علماء الصحابة والتابعين قالوا في آية (فاولئك هم الكافرون) منهم البراء بن عازب وحذيفة ابن اليمان ، وابن عباس وعكرمة والحسن البصري (انها نزلت في اهل الكتاب) *

وحتى للذين قالوا انها نزلت في المسلمين فقد قالوا (ليس كمن كفر بالله وما انطقه وكتبه ورسله) عن طاووس كما رواه عبد الرزاق *

وفي رأى عطاء كما نقله لنا الثوري عن ابن جريج انه (كفر دون كفر وظلم دون ظلم وفسق دون فسق) وفريق آخر (يفرق بين جحود الآيات وانها من عند الله وتحمل حكم الله ولا يطبقها لهذا السبب فيكون اذن كافرا ، اما من اقربها ولكن لم يحكم بها لسبب او لآخر

فيكون ظالماً وفاسقاً - وليس بكافر) وقد روى هذه الفتوى على ابن أبي طلحة عن جبر الأمة ابن عباس رضى الله عنهما •

هذه هي آراء كبار علماء الصحابة والتابعين بعضهم يرى أنها نزلت في أهل الكتاب ولا شأن للمسلمين بها والذين رأوا أنها لم ، انسموا إلى فريقين :

الأول : قال انه كفر دون كفر ولا يخرج من الأمة •

والآخر : فرق بين عدم تطبيق الآيات جحوداً لها فهذا هو الكفر وبين الاقرار بها ولكن لا يطبقها لأي سبب فهذا ظالم وفاسق •

فمن أين جاء الشهيد سيد قطب بأن عدم تطبيقها يخرج عن نطاق الايمان بالكيفية وما سنده في ذلك ، وهل هو أعلم بكتاب الله من كبار علماء الصحابة والتابعين الذين ذكرناهم -

نسأل الله أن يغفر للشهيد هذه العثرة وأن يكون قد تردى فيها بحسن نية •

الفصل الرابع

النهضية ونظرية للحاكمية

بعض الذين يؤرخون الحركة الاسلامية الحديثة في مصر يؤكدون ان مبدأ العنف الذي تعتنقه بعض الجماعات الاسلامية ونظرية تكفير الحاكم وجاهلية المجتمع ترجع جميعها الى امرين :

الأول : انهيار زعماء تلك الجماعات بنظرية للحاكمية التي تبناها وأشاعها الشهيد سيد قطب متأثرا بأبي الاعلا المودودي كما سبق ان اوضحنا .

١٩٦٥

الأخر : ما لقيه زعماء وأعضاء الجماعات المذكورة في السجون والمعتقلات عندما قبض عليهم في ١٩٦٥ ، ثم محاكماتهم التي انتهت باعدام الشهيد سيد قطب وزملائه .

هذه وتلك أفعمتا نفوس أولئك الشباب بالمرارة وولحقا لديهم شعورا بالاحباط واليأس مما جعلهم ينجحون الى العنف كرد فعل مباشر ، لما وقع عليهم من تعذيب وحشي وإلى تكفير الحاكم الذي أجاز لاجهزته ممارسة القمع بل وإلى تكفير المجتمع الذي علم به ورضي عنه أو على الأقل سكت عليه ولم تظهر فيه أية بادرة احتجاج . ووجدوا في رحاب نظرية للحاكمية ما غذى ذلك للشعور ونفخ بين ناره وأورى زنده . هذا ملخص ما ذهبوا اليه .

وفي رأينا أنه تحليل يشوبه الكثير من القصور وإن ظاهرتي العنف والتكفير تحتاجان إلى دراسة متعمقة يقوم بها عدد من العلماء في التاريخ والاجتماع وعلم النفس والدين (الاسلامي والمسيحي لأن ضامرة العنف على الاخص لم تقتصر على الجماعات الاسلامية وحدها) .

ونرى ايضا أن المؤرخين سألني الذكر قد أغفلوا حقيقة تاريخية هامة وهي أن العنف الذي اعتنقه وما زالت بعض الجماعات الاسلامية خرج من كم معطف الجهاز السري أو للنظام الخاص الذي أنشاه الامام الشهيد حسن البنا المرشد الاول لجماعة الاخوال المسلمين في أوائل الاربعينيات بقصد حمايتها من أعدائها المتربصين بها آنذاك . القصر والانجليز ، ولردع عسكر الحلفاء الذين كانوا يعربدون في شوارع القاهرة والاسكندرية وغيرهما من عواصم المحاذيات أثناء الحرب العالمية الثانية وكانوا يقومون بأعمال مظلة استغفرت للشعورين الحينيين والوطنى ، ولكن للنظام الخاص (الجهاز السرى) تعاضمت قوته وأصبح في اطار الجماعة يشكل ما يمكن أن يسمى (دولة داخل الدولة) ووفقا بتمرد حتى على تعليمات المرشد الذي كان يتمتع بمكانة عالية تبلغ حد القداسة في نفوس الاخوان .

فبعض الجماعات الاسلامية المعتنقة لجدا العنف لا شك انها كانت ترنو ببصرها الى سابقة ذلك للجهاز وما حققه من أعمال وهذا أحد الأسباب .

ويستلزم المؤرخون ان لقاء ماصفا حدث داخل السجون بين الأستاذ / حسن اسماعيل الهضيبي المرشد الثانى لجماعة الاخوان المسلمين وبين زعيم شباب لاحدى الجماعات ودلر بينهما حوار ملتهب

حول ظاهرات العنف وتكفير الحاكم وجاهلية المجتمع لم يسفر عن نتيجة لان الزعيم للشباب لم يقتنع بالحجج التي طرحها المرشد عليه .

ولقد دون الاستاذ الهضيبي ذلك النقاش وطوره وأضاف اليه أبحاثا أخرى في العقيدة الإسلامية ومنهج الدعوة الى الله تبارك وتعالى وأخرجها جميعا في شكل كتاب أعطاه عنوان :
دعاة .. لا قضاة .

وهو مليء بالانكار والمآنى لدرجة أنها ضغطت على أعصاب الأنفاظ حتى يخيل اليك وانت تقر أنها تضيق بها ذرعا وتتطلب منك إعادة القراءة حتى يتيسر لك فهم ما يريده الاستاذ المرشد رحمه الله ولا غرو فقد كان فضيلته من قبل مستشارا بمحكمة النقض فاعتاد في كتابة الاحكام البمد عن الحشو والاستطراد والقصد الى المعنى مباشرة .

وهو يرى ضرورة قيام حكومية اسلامية وان عدم قيامها يؤدي بطريقة للحتم وللزوم الى :

(تعطيل تنفيذ الكثير من الاحكام الشرعية وتضييع ما شرحه الله لعباده بتنفيذ الكثير من الحقوق وايضا تشتيت المسلمين وضعفهم وتعرضهم للفتن والهلون وشيوع الظالم والفساد وحال بلاد المسلمين في هذا الوقت شاهد صدق على ذلك) ص ١٣٦ من الكتاب - طبعة دار الطباعة الإسلامية والنشر لسنة ١٩٧٧ .

وهو يكرر رأى جماعة الاخوان المسلمين وغيرهم من ان الخلافة الإسلامية هي رمز للوحدة الإسلامية ومظهر الارتباط بين امم الاسلام وانها شعيرة اسلامية يجب على المسلمين التفكير فيها والاعتماد بها .

وعذا في اعتقادنا خلط منهم بين الخلافة الائتلافية للعظمى فإذا كانت الأخيرة ضرورة لحفظ الدين والدنيا معا وأنه لا يتصور قيام جماعة دون تنصيب إمام عليها يتولى أمورهم ويحسب شئونهم فإن الخلافة ليست كذلك وإنما تحققت في فترة تاريخية معينة وأن قيام خلافة الآن تجمع تحت لوائها الدول والشعوب الإسلامية من تركيا شمالا حتى الصومال جنوبا ومن مراكش غربا حتى أندونيسيا شرقا ضرب من الحال .

ثم يتحسّن فضيلة المرشد الهضبي عن صفة الإمام (وهنا نلاحظ أنه امتنع عن ذكر الخليفة) والمهام الموكولة إليه وواجب المسلمين إزاءه من السمع والطاعة وفي ألا يكون هناك سمع ولا طاعة وحتى تسلم سيوف لرد البغي وتغيير الفكر وإزالته - وأورد حديث المعصوم عليه الصلاة والسلام :

(السمع والطاعة حق ما لم يلمر بمعصية ، فإذا لم بمعصية فلا سمع ولا طاعة) .

وبأن هناك من يرى خلافه ولحق أصحابه بحديث الرسول - عليه الصلاة والسلام - لنقاتلهم يا رسول الله - قال : لا ما صلوا -

وأخذ يورد حجج الفريقين - ومال لتأكيد أن فكرة الخروج على الحاكم المسلم لنفسه ، لو عصيانه كانت - وما زالت - مثار جدل بين الفقهاء - فكانه يقول أن التسارعة بالتكفير لأمور لا تصل لدرجة التكفير للبواح غير صحيحة وتعمزها الأدلة التي ترجحها .

وكل ما سبق كان تمهيدا لمناقشة نظرية الحاكمية لله - التي انتشرت في أوساط الجماعات الإسلامية وبعض شباب الإخوان بمقد غلبة آراء الشهيد سيد قطب وترجمة بعض كتابات المودودي .

فالمرشد الهضيبي يرى ضرورة الحكومة الإسلامية وإن هذا لا خلاف عليه وأنها تقوم لتسييد شريعة الإسلام في الأمة وإنفاذاً فعلياً وإلا سادت شريعة أخرى يضطر الناس إلى التحاكم إليها .

ولكن فضيلته ينبه إلى نقطة جوهرية :

يتعين التفروقة بين شريعة الله وبين إنفاذ حكم الله وأجراء الأحكام على العباد فتحكيم شريعة الله إنما يكون بالرجوع إلى النصوص التشريعية التي نطق بها الرسول عليه الصلاة والسلام وحياً عن ربه وهي نقطة بالغة الأهمية والخطورة مما - ومقتضى الطريق بين القاتلين بالحاكمية وغيرهم .

فليس كل ما ورد عن الرسول عليه السلام هو من الوحي الذي أنزل عليه من ربه بل إن كثيراً ما قاله أو فعله هو من عنده كبشر باجتهادات خاصة تصدر فيها الظروف التي أحاطت به والأمثلة على ذلك كثيرة ومبسوطة في كتب السيرة المتقدمة والصحاح والمسانيد منها على سبيل المثال : اعتزال الحباب من المنذر بن الجعوف على المنذر الذي اختاره للرسول لجيش المسلمين في موقعة بدر الكبرى ونزول للرسول عليه الصلاة والسلام على رأسه بعد أن لقتنح بصحته - وحديثه المشهور في واقعة تأخير النخل والذي أنهاء بقوله : انتقم اعلم بشئون دنياكم .

وهذه الاجتهادات البشرية غير ملزمة بعكس الوحي به من الله فهو ملزم وهو الذي ينطبق عليه قوله تعالى (وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) سورة الحشر الآية السابعة . ونعود إلى رأي الأستاذ الهضيبي :

فهو يقطع بأن تحكيم شريعة الله هو الرضا والتسليم بحكم الله فيما أحل وحرم ونهى وإباح وإن هذا حق خالص لا شبهة فيه .

وبعبارة أخرى فهو يرى أن تحكيم الشريعة يتمثل في التسليم بما أمر الله به أمراً صريحاً لا لبس فيه أو نهى عنه أي غيماً أهله وحرمة أي الالتزام بالأوامر للصريحة والنواهي الجازمة فهذه على حد تعبيره (لا شبهة فيها) .

وفيما عداها يكون الالتزام بالقواعد الكلية أو الأطار العام الذي رسمته الشريعة وتحت هذه القواعد ودخل هذا الأطار ينشأ حق المسلمين في الاجتهاد :

(أما إذا كان ما تعدت فيه الآراء واختلفت فيه وجهات للنظر فإن أولى الأمر أن يجتهد ما وسعه ثم ينفذ ما آذاه إليه لاجتهاده) ص ١٤٥ .

ومنهوم الموافقة لكلام المرشد الثاني أنه من المستحيل أن تعتمد الآراء أو تختلف وجهات للنظر فيما أمر الله أو نهى به بصورة قاطعة وأن ولي الأمر يجتهد ما وسعه الاجتهاد في اللوائح أو النوازل التي ليست فيها نصوص محكمة من الكتاب العزيز والسنة المطهرة ، وهو المدخل الذي تلج منه للتشريعات البشرية التي تعالج المشكلات المستجدة والتي تراعى مصلحة الناس إذ بحيث تكون مصلحتهم فثم شرع الله ، بشرط ألا تخرج عما هو معلوم بالدين بالضرورة وتصادم للقواعد العمومية الكلية للشريعة وهذا عكس ما انتهت إليه نظرية الحاكمية التي تحظر على البشر أي تشريع - لن الحكم إلا لله .

ويفرق الاستاذ الهضيبي بين الاحتكام إلى شريعة الله والرضا بحكمه تعالى وبين انفاذ حكمه الذي هو في رأيه نتيجة مباشرة للاحتكام إليه ، ويرى أنهما قضيتان مستقلتان .

والاحتكام يتم سواء وجهت الحكومة الإسلامية أم لا ، أما انفاذ حكم الله فلا يتم إلا إذا قامت الحكومة الإسلامية ص ١٤٨ .

وبهاجم للقاعدة التي تقول (ما لا يتم الواجب الا به فهو واجب) ويفكر انها قاعدة فلما هو مصطلح من وضع البشر غير المعصومين لم يرد به نص من كتاب الله ولا سنة رسوله .

وهو يفعل ذلك لان اعمال تلك القاعدة التي يشهرها البعض كسلاح ماضى يؤدى الى القول بضرورة قيام الحكومة الاسلامية حتى تكون شريعة الله في الارض نافذة .

ومن الغريب للالفت للنظر ان استاذنا الشهيد / عبد القادر عودة والذي كان وكيلا لجماعة الاخوان المسلمين وقت ان كان الاستاذ الهضيبي مرشدا عاما اتخذ قاعدة (ما لا يتم للواجب الا به فهو واجب) للوصول الى ضرورة اختيار الامام او الخليفة لاقامة للشريعة اى تطبيقها وانفاذ امرها - فهو رحمه الله يقول :

اذا كان اختيار خليفة او امام امر واجب لاقامة للشريعة وكانت اقامة الشريعة ولجنة تعين ان يكون لاختيار الامام او الخليفة امرا واجبا ايضا ما دام للواجب وهو اقامة لشريعة لا يتم الا به وذلك طبقا لقاعدة : ما لا يتم للواجب الا به فهو واجب ، وهي قاعدة اساسها المنطق السليم) - كتاب (الاسلام ولواضعنا للسياسية) - ص ١٣٤ .

فهنا نجد ان الشهيد عبد القادر عودة يؤكد انها قاعدة تقف على اساس المنطق السليم في حين ان المرشد للهضيبي يذهب الى غير ذلك ومن ثم كانت النتيجة التي توصل اليها كل منهما مغايرة لالاخرى مع انهما يقفان على التمة للمالية من رأس جماعة الاخوان ومفروض فيهما انهما يعبران عن منهج واحد .
والسؤال : هل اطع الاستاذ للهضيبي على كتاب للشهيد عبد القادر عودة ام لا ؟

والذى أرجحه انه اطلع عليه ومع ذلك تمسك بوجهة نظره .
وبعد ذلك يصل الهضيبي الى بيت القصيد وهو رد ما تنادى به
نظرية الحاكمية من ضمن ما تنادى به وهو تكفير الحاكم المنسوب الى
الاسلام .

ولا نقول المسلم الذى لا ينفذ حكم الله ويخفق شريعته (ومن لم
يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون) وبالتالي بتكفير كل من
لا يحكم بتكفيره ويعتد ذلك فيه بقلبه وبهفته بأسائه . ص ١٥٣ .

ويبدأ بشرح رأى المتكلمين من الفقهاء فى معنى الايمان وانقسامه
الى اربعة اقسام وانه تبعاً لاختلافهم يستحيل ان يقال عن الحاكم
الذى لا يحكم بما انزل الله انه كافر خارج عن الاسلام وحتى الذين
قالوا ان الشرائع من الايمان فان الكفر فى نظرهم يكون على سبيل
الجاز وبعضهم لسموه كفرا عمليا او كفرا دون كفر وليس بمخرج
عن الايمان والاخيرين قالوا عنه انه فاسق شائن كل عامل على خلاف
الأمر (ص ١٥٨) .

ودعا الى عدم التسرع فى اطلاق الاحكام فيما يتعلق بتكفير
الحاكم المسلم خاصة ان لم يبلغ من العلم درجة استنباط الاحكام
الشرعية من الآيات والأحاديث .

ومن هنا يظهر سر اختياره لعنوان الكتاب (دعاة ٠٠ لا قضاة)
اى أنهم يدعون الناس الى الاسلام وليس من حقهم ان يحكموا عليهم
بالكفر سواء كانوا حاكمين او محكومين .
بقيت كلمة :

ومى أننى سمعت بالجنوس فى حضرة الاستاذ الهضيبي أكثر من
مرة وهو رحمه الله تعالى - رجل دعت الاخلاق ، قوى المفيدة ، صلب

في الحق ، رضى للنفس ، حادى للطبع لا يتكلم الا حمسا وبمعد روية
وامعان فكر .

ولقد لفت نظري في الصفحات الاولى من الكتاب انه انتقد ابا
الاعلى المودودى فيما ذهب اليه من تفسير معانى الاكومية والربوية
وان تفسره مخالف لما جاء في القرآن عنها و (هو الذى يتعين
الاخذ به والتسليم بمقتضاه) ص ٢٠

اذكر هذا لاننى على يقين ان البعض سيثور ثورة عارمة لاننى
انتقدت فيما سبق المودودى في بعض آرائه واقول له :

لقد فعله من هو خير منى .

وان كل شخص في الاسلام يؤخذ منه ويرد عليه الا المصوم عليه
السلام .

الفصل الخامس

أما الحدود

نزلت الحدود التي لجمع علماء السلف وجاءت أسباب النزول تؤكد أن الآيات الثلاثة سالفة الذكر نزلت بشأن بعضها ووضعت لجرائم محددة هي :

للزنا - قذف المحصن أو نفي نسبه - للشرب - السرقة - الحرابة (ويطلق عليها أحيانا السرقة الكبرى) الردة - البغى .

ولكن ابن حزم الظاهري أخرج البغى من جرائم الحدود ووضع بدلا منها جريمة جحد العارية -

ولسنا بصدد شرح هذه الجرائم ومن أراد ذلك فليطالع بكتاب استاذنا للشهيد عبد القادر عودة رحمه الله (التشريع الجنائي الاسلامي) فهو فريد في نوعه -

ويستحيل علينا أن نماري في هذه الحدود أو نقول في شأنها أنها قاسية أم لم تصد تناسب عصرنا إلى آخر هذه الترهات ..

لأن جحودها كما أوضحنا يخرج عن الملة والعياذ بالله .

ولا يخدم القضية التي ندافع عنها بكل ما لدينا من قوة وهي القضية الاجتماعية وإن الشريعة الإسلامية ثورة دائمة ضد كل أنواع الطغيان وفي مقدمتها طغيان الحكم والمال .

كما انه يعطى المتناولين لنا سلاحا رخيصا لزبد من التهم مثل
الاحساد والعمالة - .. الخ .

فنحن نؤمن بآيات الحدود ولا نجحدها ونؤكد انها صالحة لكل
زمان ومكان - ولكن بشرط ان يوجد المجتمع الصحيح :

الذى يجد فيه المواطن - مسلما كان او غير مسلم - للكرامة
والحرريات بمختلف انواعها حرية الراى ، للكتابة ، الإضراب تكوين
الأحزاب ، والتظاهر ، وأن يجد للعمل المناسب ، السكن اللائق ،
وسيلة الانتقال المريحة ، والمستشفى الحديث ، والمدرسة لأبنائه،
والرفاق الحيوية .. الخ

والا تتفاوت الدخول تفاوتاً مخلاً بكل المقاييس :

اناس يتمتعون بكل شىء وفى الغالب غلة قليلة ولكنها مقترفة ناعمة
وأغلبية مسحوقة مطحونة ، كرامتها مهدورة ، محرومة من كل شىء -
إذا وجد هذا المجتمع فاعلا بالحدود : لان الذى ينحرف بعد ان
يتوافر له كل ما ذكرناه يكون شاذ الطبع لا يردعه الا الحد .

وهذه هى روح الاسلام بل وهذا نصه - ذلك ان آيات الحدود من
آخر ما نزل من الذكر الحكيم - وهذا امر طبيعى بل وبديهى ويتفق
مع سنن الله فى خلقه وقوانين الاجتماع .

أما ان نبدأ بالحدود كما يصرح بذلك السلفيون المحدثون والمجتمع
كما نراه قهوا قلب للأوضاع وقراءة للكتابة العربية من اليسار الى
اليمنى .

ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه عطل حد جنائية السرقة فى عام
المجاعة ، وبعضهم يفزع من كلمة (عطل) هذه ويرى ان ذكرهما كبيرة
من الكبائر ، مع انها حقيقة مؤكدة فكرتها كتب التاريخ الاسلامى
والفاروق اذ فعل ذلك طبق للشريعة الاسلامية للتطبيق الصحيح ،

اذ كيف تقطع يد رجل سرق طعاما يسد به رمقه ورمق اولاده - وبالنقياس كيف تطالبون باقامة الحدود والمجتمع المصرى كالمسرم المطلوب : القاعدة العريضة محرومة ، والقتلة القليلة متفردة متفخمة بكل شئ .

ان اقامة الحدود فى صالح الجماهير للكااحة لان على الحاكم الذى يدعى انه مسلم ان يوفر لها الحياة الكريمة اولا ثم يقيم للحدود ، وهو الهدف الذى نسمى ليه هو ذلك ولا شئ سواه .

اما الذى يعارض اقامة الحدود بدعوى انها غاسية او لا تصلح لهذا الزمن فهو غير حصيف ولا اريب ، ذلك ان الذين ينادون باقامة الحدود الآن وفورا يهدفون الى حماية اموالهم التى جمعوها بالطرق المسروقة خوفا من ان تمتد اليها ابدي الجوع والحرومين فيهددونهم بقطع ايديهم وارجلهم من خلاف ولكن هذا وهم ، فاذا كانوا يتمسحون فى الشريعة ، فانها هى التى تلزمهم بتوفير الحياة الكريمة قبل اقامة وحدود ، وان لم يفعلوا ذلك خالفوا للشريعة نصا وروحا .

ولكن لماذا الحدود فقط :

اذن جحد للحدود وللنيل منها ليس فى صالح القضية الاجتماعية ، التى هى الهدف المنشود - ويدل على ضيق افق وقصر نظر ويعطى للخصم فرصة سائحة للتشهير - وقيل ذلك كله كفر وهو خروج من حظيرة الايمان ونستعيز بالله من ذلك .

والسلفيون الجدد عندما ينادون بخروج نطاقها اى الايات الثلاث حتى تشمل الحكم يخالفون كتاب الله كما فسره الائمة الثقات ، ولكنهم لا يفعلون ذلك عبثا - انهم يريدون للحكومة الدينية التى يكون فيها الحاكم هو خليفة الله فى الارض كما قال منظروهم الاول المودودى كلامه قانون واجب الطاعة وليس من حق احد ان يمارضه

أو يجادلّه وليس للشعب وزن بل ولا وجود ، ولا أحزاب ممنوعة
وصحف المعارضة غير مسموح بها ، ولا ضرورة للمؤسسات دستورية
أو هيئات جماهيرية ، وما أسهل ما يدعى الحاكم أنه يصدر في أفعاله
وفرماناته وأقواله عن كتاب الله وسنة رسوله وهو الشرط الذي وضعه
المؤدب (تجاوز الله عن سيئاته) -

وما أسهل أن يجد من علماء الدين الاسلامي من يؤيده ويؤازره بل
ويصدر له الفتاوى التي تبرر له كل ما يصدر عنه عن فعل أو قول
أو تشريع -

وحتى لا يستهول للقارىء ذلك لو يستفظمه فالأمثلة على ذلك
متوفرة : -

في المملكة العربية السعودية :

علماء الدين الاسلامي هناك يقولون ان للشورى غير للزامية ، ومن
ثم تحكم العائلة المالكة السعودية حكما عشائريا قبليا وتفضل ماتشاء
وفي يدها فتوى من العلماء بذلك .

وأولئك العلماء يحرمون على الناس مجرد التلطف بكلمات للديمقراطية
والاشتراكية والليبرالية والبروليتاريا والكتاتورية والصراع الطبقي
والاحزاب المعارضة ، لانها مستوردة ووجس من عمل الشيطان كس
هذا منشور في كتاب صدر في القاهرة ، وليس في السعودية انه
أحد علمائهم .

ولذلك يعيش العلماء هناك عيشة الامراء ، وقد رايت بعيني رأسي
واحد منهم في الحجون بمكة المكرمة ، لا تقل ضخامة عن مبنى المجمع
في ميدان التحرير بالقاهرة -

وفي السودان :

لم يتورع الدكتور حسن القرايبي وجماعته أن يضموا أيديهم في يد

للطاغية النمرى ، ولو أنهم لقوا جزاءهم على يديه فيما بعد -

نهل كان للترابى ومن معه يجهلون حقيقة النمرى ؟

والطاغيت فى ايران :

يحكمون باسم الشريعة الاسلامية واعمالهم معروفة مشهورة ،
حتى الذين ساندوهم وتحالفوا معهم فى طريق الثورة ، ما ان وصلوا
الى السلطة حتى ابادوهم قتلا وسحلا والذى بقى منهم وضموه فى
سجون تعتبر سجون للقرون الوسطى بالنسبة لها جنات ولزفة
الظلال -

وتكتاتور باكستان :

الذى يحكم ٩٠ مليوناً من المسلمين بالحديد والناز وباشد اساليب
القمع يسانده بعض علماء الاسلام فى باكستان ويشدون من أزره
ليزداد بطشاً وتكديلاً بجمهير المسلمين .

ومن المضحك المبكى انه عندما جاء الى القاهرة بدلاً من ان يقول
له علماء الدين فى مصر : اتق الله ، واحكم بالمحل منحوه درجة
الدكتوراه الفخرية - فأين هى الضمانات التى اشترطها المودودى فى
هذه الامثلة الماصرة .

وهذا او قريب منه هو ما يريده النادون بالحاكمية وسحب آيات
الحدود الى الحكم والدولة - ولعلنا اقنعناهم بخطأ رأيهم ونفساده .
وبعد عن للشريعة نصاً وروحاً -

ان حكم الله تبارك وتعالى ورد ملزماً على وجه التحديد خارج
(نطاق العبادات) فى جرائم الحدود وتحريم الربى والاحوان
الشخصية ونمى بها المولى والزواج والطلاق وما يتفرع عنهما
من صداق ونفقة ومتمة ورضاعة وحضانة ... الخ .

أما خارجها فهناك الحديث العظيم (انتم اعلم بشئون دنياكم)
ليس هناك تحديد ولا للزلم بل هي أمور متروكة للاجتهاد
البشرى والظروف التي يعيشونها ولكن في اطار عام وهي الا تحرم
حلالا اولا تحل حرلما ولا تصطلم باصل من اصول الشريعة ، وهو
ما يشبه في القوانين الوضعية للنظام المام والآداب العامة - ولكن
الذى لا شك فيه أن الشريعة جاءت لتأكيد حرمة بنى آدم ولنصرة
المظلومين ومؤازرة المحرومين ومن ثم فان التشريعات اذا خرجت من
هذا النطاق وظهرت المتجبرين المتسلطين والمتمولين فانها تكون
قد خرجت عن مقصد الشارع الذى تفياء من الشريعة .

وليست الشريعة الاسلامية في ذلك وحدها بل ان الشرائع السماوية
كلها استهدفت ذلك وحثت على تحقيقه .

الفصل السادس

كيف تقام الحدود في القرن الخامس عشر الهجرى

لو أن شابا توجه الى واحد من المناهين بالتطبيق الفورى وقال له : أريد أن أنكح ابنتك فلانة - يعنى أن يقزوجها باللفظ المتعارف عليه اليوم - لاستشامت للرجل غضبا وطرده للشباب من منزله شر طردة ورماء بقلة الادب وسوء التربية وانعدام الذوق - مع أن الشاب لم لم يخطئ بل استعمل اللفظة الشرعية الصحيحة -

وكما أن اللغة - أى لغة - كائن حتى يتطور بمرور الايام - وتنبو الفاظ وتعبيرات القرون السابقة على أسماع ولذوق أهل القرن الحالى فكذلك كل جيل فى كل زمان له ظروفه الاجتماعية والاقتصادية وله أعرافه وتقاليده ومحاولة تسر جيل حديث على ظروف وتقاليده وأعراف أجيال سبقتة محكوم عليها بالاخفاق والفشل وهناك اثر شريف يقول : لا تقسروا اولادكم على اخلاقكم فقد خلقوا زمان غير زمانكم فاذا كان الامر كذلك خاصا بالاولاد الذين لا يفصلهم عن آبائهم اكثر من ثلاثة عقود فما بالكم اذا كانت تفصلها عن التى سبقتها قرون عديدة -

ونعتقد أن هذه بديهية كفا فى غنى عن ذكرها - ولكن ما العمل والسلفيون المحققون يتجاهلونها فى غمرة حماسهم الاعمى لقولة التطبيق غير مدركين للمواقب الوخيمة المترتبة على هذا التجاهل الذى يصادم سنة كونية وناموسا من نولميس المجتمع -

ولا نستثنى الا القليل من المطالبين بالتطبيق الفوري ونؤكد أن
للفالبيه المعظمي منهم لم يقرأوا أو حتى يعمروا مرورا غابرا على كتب
أو أبواب الحدود والديات التي جاءت في كتب السنة الصحيحة ، ونو
فعلوا لا يثبتوا أن المسألة ليس بالبساطة التي يتصورونها وأن الامر
جد لا مزل فيه - وأنه يحتاج الى جهود مضنية - خاصة بعد غلق
باب الاجتهاد ، لجعل الحدود ملائمة للظروف الاجتماعية والاقتصادية
التي يعيشها الناس الآن والا كانت النتيجة سقطة مدوية ونكسة
مريسة واساءة باللغة للشريعة الاسلامية -

ولكل دعوى دليل وفي السطور القادمة نقسم بعض ادبته :
(١) يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا قود الا بالسيف)
اي لا يجب القصاص اذا كان قتلا الا بالسيف -

رواه ابن ماجه والدارقطني في سننهما - وأحمد في مسنده والحاكم
في المستدرک والبيهقي في الكبرى .

ومعلوم أن احاديث الرسول صلى الله عليه وسلم تطبق تطبيقا
دقيقا بلنزم لللفظ ولا يخرج عنه ونذكر في هذا المقام أن المصوم
عليه السلام كان يعلم أحد الصحابة دعا ، يقوله قبل النوم هو

اللهم انى افسدت نفسى اليك والجات ظهري اليك رغبة ورهبة اليك
لا ملجأ ولا منجى منك الا اليك ، آمنت بكتابك الذى انزلت ونبيتك
الذى ارسلت -

ثم طلب من الصحابي أن يعيده عليه فاسمعه اياه ولكنه قال :

وبرسوك الذى ارسلت فصحه له المصوم قائلا : نبيك -

ونحن نقرأ في كتب السنة وشروحها كيف يجهد واضعوها أنفسهم
في تحقيق اللفاظ التي جاءت على لسان النبي -

وفي هذا الحديث (لا مود الا بالسيف) ، وضع الرسول قاعدة شرعية وهي أن القتل بالسيف وحده هو الذي فيه القود - أما وسائل القتل الأخرى فلا قود فيها -

ومعلوم أنه في عصرنا الحديث استحدثت عشرات الوسائل للقتل فإذا طبقنا فيها القود كان ذلك خروجاً على الحديث الشريف الذي ذكر السيف وحده - وإذا قلنا بغير القود كان ذلك في منتهى الشذوذ وغاية الغرابة لأن من بين تلك الوسائل أن لم يكن جُلها ما هو أنسى وأشدّ اجراماً من السيف فكيف لا يحاقب مرتكبها بالقود ؟

ويكون مرتكب الجريمة للفظيمة أقلّ عقاباً من الجريمة الأمل ؟؟

فضلاً عن أنه معلوم أن القتل بالسيف الآن يكاد يكون في حكم النادر وبذلك نضع في قانون العقوبات نصاً لا يطبق في واقع الحياة - (٢) عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(ليس على العبد ولا على أهل الكتاب حدود)

رواه الدارقطني في سننه -

وترجمة الحديث أنه إذا قتل مسلم مصري مسلماً مصرياً عمداً أقيم عليه الحد ، أي القتل - وإذا قتل قبطي مصرياً مسلماً عمداً فلا يقام عليه الحد أي لا يقتل ولكن يعزر والتحزير عقوبة أقل من الحد -

فما رأى اخواننا المسلمين ؟

(٣) عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ليس على العبد الا بئق إذا سرق قطع ، ولا على النحر) - رواه الدارقطني في سننه -

ومعناه إذا سرق مسلم قطعت يده أما إذا سرق نصراني مصري فلا تقطع يده -

وبداية ليس الاشكال في تخفيف العقوبة على اخوتنا اقباط مصر ،
بل على عدم المساواة بين المسلمين والنصارى في جريمة واحدة ؟

وما يحدثه ذلك من اثر في نفوس عامة المسلمين .

(٤) عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل دية اهل الكتاب نصف دية المسلم .

اخرجه ابو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه والدارقطنى في
سننهم واحمد وابن راهويه والبيهقى في مسانيدهم -

وامل للكتاب كما هو معلوم هم لليهود والنصارى .

(٥) عن ام المؤمنين السيدة عائشة رضوان الله عليها قالت :

سمعت رسول الله عليه الصلاة والسلام يقول :

(لا تقطع يد السارق الا في ربع دينار فصاعدا)

وسرق رجل مجنا على عهد رسول الله فقوم بخمسة دراهم ،

فقطعه يده -

رواهما الدارقطنى في سننه -

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

من سرق من هذه النخلة ثوبه ثلاثة دراهم - رواه احمد وابو داود
والنسائى .

وعن جابر بن عبد الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (ليس على

الخائن ولا على الخفائي ولا على المنتهب قطع) - رواه الخمسة
وصححه الترمذى .

اى من يخون الامانة او يختلس او ينهب مئات الألوف من الجنيهاات

لا تقطع يده - ومن يسرق ما يساوى ثلاثة جنيهاات يقطع -

هذا بنص الأحاديث التي وردت في كتب الصحاح .

وهذا مشكل بل في غاية الإشكال .

وكما حاول علماء ثقافة حل مشكل الحديث في مواضع أخرى والفوا
ل ذلك الكتب القيمة منهم على سبيل المثال الامام الحافظ أبو بكر
ابن فورك وابن قتيبة والطحاوي فطلى السلفيين المحدثين قبل الذين
جاءوا طباق الأرض صياحا بالتطبيق أن يحلوا هذا المشكل وأمثاله .

في عهد الرسول عليه السلام - كانت التجارة هي عصب الحياة
لاقتصادية - ولذا كانت جريمة السرقة هي السائدة فنزل بشأنها
هذا العقاب الصارم المؤبد لما كانت عليه الحال قبل للبعضة الحمدية
قد أوردت كتب السيرة المعتمدة ان (سارق كثر للكمبة المشرفة قطعت
ريش يده) ولكن الحال الآن تغير واختلفت أوجه المعاملات المالية .

واستحدثت جرائم جديدة لم تكن معروفة في عهد النبوة المعصومة
مثل اختلاس الأموال للصامة ، النصب ، لصدار شيكات بدون رصيد
... الخ .

وكل يوم نقرأ في الصحف عن جرائم اختلاس وشيكات بدون رصيد
مئات الألوف من الجنيهات فإذا طبقنا على مرتكبها حد قطع اليد
نالفنا الأحاديث الصحيحة التي منعت للقطع فيها - وإذا لم نفعل
إن مختلس مئات الألوف أسعد حالا من سارق للجنيهات القليلة ؟

(٦) عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال :

إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (لا يغرم السارق إذا أقيم
ليه الحد) .

رواه الدارقطني في سننه .

فكيف الحال اذا سرق رجل مئات الألوف من الجنيهاً وتقطعت يده وركبت له يد صناعية وعاش مستمتعاً بما سرق طيلة حياته ، بل ان تقسم الطب جعل من الميسور ، تركيب اليد المقطوعة بمد تطمها وقترات في مجلة (المسلمون) السعودية ان بعض علماء الدين لفتي بجل فللك وجوازها شرعا .

فاذا نص قانون العقوبات الاسلامي على تغريم السارق ، خالف الحديث ولذا لم ينص ناز للسارق بمئات الألوف لفتي سرقها وركبت له يد صناعية لو اعيدت يده بعملية جراحية .

(٧) عن ابن مسعود رضي الله عنه قال :

دية الخطأ الخماسا : عشرون جذعة ، وعشرون حقة ، وعشرون بنات لبون ، وعشرون بنو لبون فكور ، وعشرون بنات مخاض .
رواه الدارقطني في سننه .

ونحن نسأل هل سوف ينص في القانون الجنائي الاسلامي على هذا بلنظرة ؟ وكمن من القضاة الذين سوف يطبقونه والمحاميين الذين يترافعون فيه يعرف الفرق بين الحقبة وبنات المخاض .

وسبق ان اوضحنا أهمية الفاظ الحديث بنصها - لقد استفاد شيخ الاسلام وحافظ عصره الامام الدارقطني اكثر من ثلاث صفحات ليتحقق من كل معنى الحقائق وبني لبون - شعورا منه بمسئولية من يغير في الفاظ لهاديت الرسول عليه السلام .

ولذا رد السلفيون المحققون : انه لا باس من تحويل هذا كله وتقويمه بالمال اشارة منهم الى الحديث الذي رواه الامام احمد ابن حنبل في مسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص : (وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقيمها على اهل القرى اربعمائة ديناراً او عظامها من الورق) أي القضية) . وكان يقيمها على اتمان

الابل ، فإذا غلت رفع قيمتها وإن هانت نقص من قيمتها على عهد
الزمان ما كان ، فبلغت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما بين اربعمائة دينار الى ثلاثمائة دينار وعدها من الورق (الفضة)
ثلاثمائة دينار) .

قلنا لهم من الذى يقوم بعملية التحويل والتقويم هذه ، وهل
سيكون ذلك سنويا نظرا لتغير الاسمار كل عام أم ثابتا كما هو وهل
سيكون ذلك كما هو الشأن فى القوانين عامة والقانون الاسلامى خاصة؟
لقد كانت الدولة الاسلامية على عهد الرسول محدودة والاسمار فيها
متوازنة فهل الاسمار واحدة الآن فى البلاد الاسلامية بمقد أن اتسعت؟

لن هناك بلاد اسلامية تكون الماشية فيها متوافرة واسمارها
منخفضة ، وأخرى تكون فيها عزيزة واسمارها مرتفعة .

ومضى ذلك تعدد المقويات فى البلاد الاسلامية ؟

وكم تساوى اربعمائة دينار التى كانت على عهده عليه السلام
بمئة هذه الأيام ولتى يجب أن يلتزم بها المسلمون والا خالفوا نص
الحديث ؟ وهل سيتخذون ابل ايضا مقيارا للتقويم أم يتخذون لهم
مقيارا آخر ؟ وهذه مخالفة أخرى للحديث .

(A) فى مصباح الزجاجة فى زوائد ابن ماجة للشهاب احمد بن أبى بكر
البوصيرى :
عن سلمة بن المحبق :

قيل لأبى ثابت سعد بن عباد (وهو من أجلاء الصحابة) حين نزلت
اية الحدود وكان رجلا غيورا :

لرايت لو أنك وجدت مع أم ثابت رجلا ، أى شئ كنت تصنع ؟
قال : كنت ضاربها بالسيف ، فتنظر حتى أجيء بأربعة شهود الى

ما ذلك فيكون قد قضى حاجة وذهب ، أو أقول رأيت كذا وكذا فبضربوني
الحد ، ولا يتقبلوا لي شهادة أبدا ؟

قال فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : كفى
بالسيف شاهدا •

وفي مسند الامام أحمد ان سعد بن عبادة قال : يا رسول الله ان وجدت
مع امرأتي رجلا حتى أتى بالريمة شهدا ، قال : نعم

ولهذا الحديث شاهد من حديث أبي هريرة رواه مسلم وغيره -

ففي هذين الحديثين آثار الصحابي الجليل سعد بن عبادة مسألة
صعوبة اثبات جريمة الزنا باحضار أربعة شهود يرون المرد يدخل
في المكلة -

وهي صعوبة ما زالت قائمة حتى اليوم بل ازدادت وتحولت الى
استحالة •

فاذا استطاع من يهمة الامر ان يثبت تلك الجريمة بطرق الاثبات
الجديثة مثل التصوير الفوتوغرافي أو سجل الصوت بشريط كاسيت
أو فيديو التي لا تدع مجالا لمن يسمعه أو يراه أن الزنا قد تم كاملا
فهل يقبل منه هذا الدليل •

إذا أجزنا ذلك خلفنا السنف للصحيحة وافلت الزانيان رغم قوة
الدليل •

أم لا بد من الدليل الشرعي : الاربعة شهود ، وهذا ان لم يكن
مستحيلا فهو شبه مستحيل في ايامنا إذ ان جريمة الزنا تتم في غرف
محكمة الغلق ؟؟

وهل لو كانت مثل هذه الاساليب الحيثة التي نثبت جريمة
للزنا موجودة في عصر النبوة المصومة هل كان للرسول يرفضها ؟

ليس من المنطق والمقول ان نقول :

أن الرسول عليه السلام ذكر ما كان متاحا له في عصره من أدلة الثبوت ، وأنه لا تثريب علينا إذا أخذنا بما لتيح لنا من وسائل الإثبات ولا تثريب على من يأتي بعنا أن يستمين بما يستحدث في عصرهم من أدلة جديدة ، وهكذا لا تصاب الشريعة الإسلامية بالذبول والبعد عن واقع الناس كما يريد لها الإمام الخميني والمفتي السابق رحمه الله ومن بعدهما الأخوة السلفيون الجدد عفا الله عنى وعنهم .

هذا غيض من فيض من المشكلات التي سوف تواجه الأخوة المطالبين بتطبيق الشريعة وإقامة الحدود في القرن الخامس عشر للهجرى ويعلم الله مدى حينا للإسلام وحرصنا على صورته المشرفة التي يجب أن تظهر للناس ، ولكن المطالبة الغوغائية ستأتى بنتيجة عكسية وستظهر للشريعة بمظهر المتخلفة عن واقع الناس ، ولقد قرأت أخيرا كتابا للفقهاء أحد الصحفيين الأمريكان يفقد فيه ما يجرى في إيران على يد « إمام المسلمين كما يسميه أتباعه » روح الله الخميني لأنه فعل كما ينحو الأخوة السلفيون الجدد وطبق بعض نصوص الشريعة دون مراعاة لتغير الأحوال الاجتماعية والاقتصادية في هذا القرن -

وما لنا نذهب بعيدا فقد قرأنا في رمضان الماضى (١٤٠٥ هـ) الفتاوى العجيبة التى طبع بها على التساس مفتى الديار المصرية السابق مثل لكل الطين الأرضى وبزلق الصديق وغيرها وهل هى من المفطرات أم لا ، وكانت هذه الفتاوى مثار سخرية حتى من الكتاب الإسلاميين -

مع أن الرسول عليه الصلاة والسلام وصحابته الاجلاء لم يتجمعوا إمام الحدود بل كانوا يراعون مقتضى الحال وهذه بعض الأمثلة :

١ - عن سهل بن سعد أن وليدة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم حبلت من الزنا فضعلت من حبك ، فقالت : احببني المقعد ، فسل عن ذلك فاعترف فقال النبي عليه الصلاة والسلام : « انه لضعيف عن الجلد » ، فامر بمائه عنكول فضربه بها ضربة واحدة - والعنكول هو الشبراح وجمعها شمرايخ .

رواه الدارقطني والطبري وأحمد وابن ماجه وأبو داود .

وأورده الشوكاني في نيل الاوطار في باب تاخير الجلد عن ذى المرض المرجو زواله .

فهنا نجد المصوم عليه السلام راعى الحالة لصحية للرافى لانه لو جلد مائة جلدة لفاضت روحه .

٢ - وعن على ابن أبى طالب عليه السلام قال :

« ان امة لرسول الله صلى الله عليه وسلم زنت فامرنى ان اجلدها فالتيتها فاذا هى حبيطة عهد بنفسى فخشيت ان اجلدها ، اتقلها ، فذكرت ذلك للنبي عليه الصلاة والسلام فقال : لصفت اتركها حتى تتماثل » .

رواه أحمد ، ومسلم ، وأبو داود ، والترمذى وصححه .

فالامام على بفطنته المعروفة رأى انه لو اتمام الحد لتقلها فامسك واستحسن الرسول منه ذلك وطلب التأخير حتى للشفاء .

١ - عن عامر قال :

« اتى على (عليه السلام) بمسارق قد سرق فقطع يده ثم اتى به قد سرق فقطع رجله ثم اتى به الثالثة قد سرق فامر به الى السجن وقال : دعوا له رجلا يمشى عليها ويذا ياكل بها ويستنجى بها ، » .

رواه الدارقطني في مسنده وابن أبي شيبة في مصنفه -
مع أن الروى عن النبي عليه الصلاة والسلام قطع اليد الأخرى
في المرة الثالثة ولكن الإمام على كرم الله وجهه راعى مقتضى الحال .

٤ - السنة الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم في جريمة الزنا
لغير المحض الجلد والتغريب (أي النفي خارج البلاد) ولكن حيث
في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رجلا غير محصن زنا فجلده
وغيره خارج المدينة فالتحق بنصارى الروم - فعزل عمر عن التغريب
بعد ذلك واكتفى بالجلد .

٥ - الواقعة تعطيل للخليفة العادل عمر بن الخطاب لحد القطع
في جريمة السرقة في عام المجاعة التي حدثت في عهده - مبرورة
ومشهرة .

٦ - وسرق غلام لابن عمر جرانيا من تمر وركب حملا (كفا
مملوكين لام المؤمنين السعيدة عائشة رضوان الله تعالى عليها) فاقطعت
بعدم قطع يده لأن الغلام كان جاثما - وردت هذه الحادثة في سنن
الدارقطني ومؤطا الإمام مالك .

وقد كان الصحابة يأخذون نصف دينهم عن الصديقة عائشة كوصية
المعصوم عليه السلام .



في هذه الامثلة نجد أن رسول الله والصحابه اتسمت احكامهم
أو فتاواهم بالمرونة وتقدير الظروف وعدم الجمود والتمسك بالحرفيات
وهذه روح الشريعة الإسلامية فهي سمحة ، رحبة ، لا تقبل بطمس المظهر
انتجهم العباسي الذي يريد السلفيون المحدثون سامحهم الله أن يظهروا
به وتكون عاقبته تنفير للناس منها .



وباستعراض الأحاديث النبوية الشريفة نجد أن نبي الله عليه السلام كان ينظر إلى الحدود نظرتة إلى الدواء المر ، أو العقوبة الجراحية التي يضطر الطبيب إلى إجرائها -

ومن ثم فقد كان يقول « أدروا الحدود ما استطعتم عن المسلمين ، فإن وجدتم للمسلم مخرجا فخلوا سبيله ، فإن الامم كثر يخطئ في الغفوة خير له من أن يخطئ في العقوبة » .

وفي حديث آخر (ادفعوا الحدود ما وجدتم لها مدفعا) رواه ابن ماجه .

ويقول الشوكاني في نيل الاوطار (إن الحد لا يجب بالثبوت ويستغنى بالشبهات) وحتى غنصا كان يأتي مرتكب الجريمة إلى الرسول مقترفا بها فإن الرسول كان يفتح له ابواب العذر بل والحدود عن الاعتراض كما فعل مع ماعز إذ بعد أن أتاه وأقر بالزنا أخذ يقول له : لعلك قبلت أو كسبت أو غمزت أو نظرت فلما وجدته مصر ، أمر بوجعه -

(أخرجه البخاري ومسلم وأحمد وأبو داود) .

وكان يوصى بالشفاعة لدى المجنى عليه حتى ليمنوا عن الجاني حتى لا يقام عليه الحد ولكن بشرط ألا تصل إلى الولي فإذا وصلت كان المشنوع له والشافع ملعونين عند الله -

والشفاعة قبل الوصول إلى الولي رحمة بالجاني لجسامة الحد أما إذا رفع الأمر إلى الولي فقد تعلق بها حق المجتمع فلا شفاعة .

(اشفعوا ما لم يتصل إلى الولي) .

رواه أبو داود والنفثائي وابن ماجه في سننهم وأحمد في مسنده .

وجاء رجل وامه الى الامام على بن ابي طالب عليه السلام فقالت
الأم : ان ابني هذا قتل زوجي - وقال الابن : ان عبدى وقع على امي
(زنى بها) فقال على كرم الله وجهه : خبثتا وخسرنتما ان تكوني
صديقة يقتل ابنك ، وان يكن ابنك صادقا نرجحك -

ثم قام الامام الى الصلاة -

فقال الغلام الامه : ما تنتظرين ان يقتلني ويرجحك ، فانصرفا •

قلما سأل عنهما قيل انصرفا •

فهنا نرى الامام على رضي الله عنه ولرضاء في جريمتين من اكبر
الجرائم : القتل والزنا - اعطى الفرصة للام ولبنها للتراجع عن اتهام
احدهما للآخر وبصرهما بالمعقوبة التي تنتظر كلا منهما ان أصرا على
الاتهام -

ومذا هي سماحة للشريعة الاسلامية ومرونتها -

وتدلنا ايضا هذه الاحاديث على نظرة الرسول عليه الصلاة والسلام
وخلفائه من بعده الى الحدود وكيف أنها كالدواء لا تعطى الا بمقدار
وعند الضرورة القصوى •

ولكن الاخوة السلفيين بدعوى الحاكمية لله - يشهرون الحدود سيفنا
مسلطا على رقاب الناس مسلمهم وذميهم يرمونهم بها يظنون بذلك
انهم يخدمون الشريعة ويرفعون من شأنها في حين انهم بذلك يكرهون
الناس فيها •

الفصل السابع

جهاز الحكم (القضاء)

من الاسباب البارزة للسقوط المدوي لتجربة تطبيق الشريعة في السودان على يد النمرى المخلوع ، الافتقار الى الجهاز القضائى العالم بالشريعة ، فصدرت الاحكام المتضاربة مع بعضها - والمخالفة لاحكام الشريعة وغدت مثار مسخط الناس ، ومسخرية من له اذن علم باحكام الشريعة - وهذا لا يقدح في قضاء السودان ، لان العلم بالقانون اللوضى السائد قبل التطبيق الفجائى للشريعة شئ والعلم باحكامها شئ آخر - فهما مختلفان اشد الاختلاف في كثير من الامور الجوزمية وقد مررنا نحن المحامين بمصر بتجربة مشابهة - ففى اوائل العهد بالثورة (ثورة ٢٣ يوليو) ألغيت المحاكم الشرعية وأصبحت دوائر داخلية ضمن المحاكم للوطنية او الأهلية - كما كان يقال عنها آنذاك وبعد أن كان يقف امامها المحامون للشرعيون فقط ، أجاز لنا القانون الترافع اليها - في قضايا الأحوال الشخصية - فوجدنا صعوبة كبيرة في ممارسة القضايا الشرعية - أمام القضاة الشرعيين - فقد كان لها (تلك القضايا) أسلوبها المختلف المتميز عن القضايا (المدنية) التى تعودنا عليها : في طريقة رفعها وإثباتها ومواعيدها ٠٠ الخ وكان القضاة الشرعيون يسخرون من المحامين (الانحدية) الذين يقفون امامهم وانتهزها المحامون الشرعيون فرصة ليظهروا براعتهم وعلمهم بالشريعة وليثاروا منا في قاعات الجلسات وليكسبوا القضايا بأقل مجهود - واستمر

وتوائم أحكامه الأحوال السائدة والاعراف التي استجبت ، فإن دراسة
الشريعة والتعمس بأحكامها شكلا وموضوعا تحتاج من المشتغلين
بالقضاء : قضاة ، محامين ، مساعدين زمنا طويلا حتى تتسق أحكام
الأولين وموافقات وأعمال الآخرين مع الشريعة .

وليكن حديثنا متسما بتي من الموضوعية والمصارحة لان المسألة
كما سبق أن قلنا جد لا عزل فيه ، ولا نريد أن يتكرر ما حدث
في القطر الشقيق ، ومنذ فترة وجيزة ، ولما قل من أتمط بغيره :

فكم من المشتغلين في الحل القضائي له العلم المكين الذي يؤهله
لاصدار حكم يتفق وأحكام الشريعة الإسلامية ولا يكون موضع سخط
الساخطين أو تجريح القاطنين ؟

ففي محال الشهادة :

كم من أولئك الأفاضل يعلم :

- متى يجوز الحكم بالشاهد الواحد بلا يمين ؟
- متى يجوز للحكم بالشاهد الواحد مع اليمين ؟
- ومتى يجوز للحكم بالشاهدين من غير يمين ؟
- ومتى يجوز الحكم بشاهدين واليمين ؟
- ومتى يجوز للحكم بشهادة رجل وامرأتين ؟
- ومتى يجوز للحكم بشهادة أربع نسوة ؟
- ومتى يجوز الحكم بشهادة امرأتين مع يمين المدعى ؟
- ومتى يجوز للحكم بشهادة امرأتين من غير يمين ؟
- ومتى لا يجوز للحكم الا بثلاثة رجال ؟
- ومتى يؤخذ بشهادة النساء فقط دون الرجال ؟
- ومتى وهل يجوز تحليف الشهود عموما أم أن هناك مواضع
لتحليفهم وما هي ؟

- ومتى يجوز للشهادة على الشهادة ؟

- وهل الشهادة من الولاية - كما ذهب الى ذلك واحد من السلفية
وصدم براهيه سكرتير حزب شجر معارض ومن على دينه - فلا تقبل
من الذمي والمبدع - أم انها ليست من الولاية ؟

- ومتى يؤخذ بشهادة الصبيان المميزين ؟ وهل تؤخذ على اطلاقها
أم على بعضهم البعض فقط ؟ وكما يكون عددهم حتى تصح شهادتهم ؟

- وهل يؤخذ بشهادة الفاسق عموما ؟ أم على فاسق مثله ؟

- وهل يؤخذ بشهادة المبتدع حتى ولو أعلن البدعة ؟

- وهل تقبل شهادة أهل الذمة على بعضهم فقط ؟ أم على
المسلمين ايضا ؟ وفي أي الواضع ؟ وهي مسألة بالغة الخطورة
في عصرنا هذا :

فلو افترضنا ان مسلما ارتكب جريمة قتل عمد ولم يره
إلا نصرانيان فهل تقبل شهادتهما أم لا تقبل ويقتل من العقاب .

- وما هي المحكمة في اشتراط شهادة اربعة شهود في الزنا والاكتفاء
بشاهدين في القتل مع ان الاولى اخف من الاخرة بها لا يقاس عليه ؟

وهو السؤال الذي طرحه فقيه ائمة أهل البيت الأطهار سيدينا
ومولانا جعفر الصادق عليه وعليهم أزكى السلام على الإمام الأعظم
أبي حنيفة النعمان - شيخ المذهب - رضى الله عنه فلم يستطع
الاجابة عليه مع انه مشهود له بالذكاء المفرط وسرعة البديهة -

- وما هو الفارق الجوهرى بين الشهادة في الحدود (التي هي حق
الله تبارك وتعالى) والشهادة في الماملات (التي هي حقوق
المخلوقين) ؟

- ومتى تكون أقوال الشاهد شهادة ومتى تكون رواية ؟ وما هي شروط كل منهما ؟

- وما هي الالفاظ التي تصح فيها الشهادة وما لا تصح ؟

- وما هي قواعد الترجيح بين الشهادات ؟

- وما هي اللتمة والمصية التي ترد كلاما للشهادة ؟

هذا مثل سريع لبلب واحد من أبواب الحكم وهو الشهادة لورضا فيه بعض الاسئلة التي تؤيد وجهة نظرنا أن الشريعة الإسلامية تحتاج لحكامها لدراسة مستقاة من الذين سوف يقومون بالحكم بها بين الناس ، فما بالكم بالأبواب الأخرى وهي طويلة وعريضة - كم من السنين تحتاج إلى استيعابها حتى يجرى الحكم بها صحيحا لايشويه فساد لو يطلان .

واذا كان العاملون في حل التقاضي الآن عليمين ببواطن القوانين الوضعية شكلا وموضوعا ولحكامهم صحيحة فهم يتفقون معنا أنها تختلف اختلافا جديرا عن الشريعة الإسلامية ومن العبث الذي لا طائل وراءه .

الادعاء بأن العلم بتلك القوانين هو علم بالشريعة وإن المتمكن في الأولى متمكن في الأخيرة .

ولايتحد من مكانة العاملين في مجال القضاء اليوم (جالسين أو واقفين) أن يقال لهم أن دراسة الشريعة تحتاج منهم سنوات طويلة كما احتاجت منهم القوانين للوضعية ذلك في الدراسة والممارسة والتطبيق . وهم أفكى وأنفذ بصيرة من التملق للكاذب الذي يقال لهم في هذا المجال ومن مصححتهم وحفاظا على مكانتهم المرموقة بين المواطنين الا يتكرر معهم ما حدث مع بعض قضاة السودان الذين مالوا للطاغية المستبد ولم يقولوا له :

قف مكانك ، ان دراسة الشريعة تحتاج منا الى وقت طويل ، وان
حصيلتنا منها حاليا لا تؤهلنا للقضاء بها بين الناس .

ليس هذا فنصب -

ولو كان هو وحده لكان الخطب فيه ليس خطيرا -

انما الجانب الاهم هو ان للقضاء في الاسلام ليس وظيفة بالمعنى
المعارف عليه بيننا الآن بمعنى ان للقاضي في نظر الشريعة ليس مجرد
موظف يمارس وظيفته داخل المحكمة وبمجرد أن يخلع اللوشاح ويغادر
(سرائ المحكمة) يتحول الى فرد عادي يمارس حياته العادية
كأي شخص آخر .

ان من يتوهم ذلك ، يكون قد أخطأ الطريق -

فان القضاء اساسا جزء من الامة للعظمى التي يتولاها ولي الامر
كإمامة الصلاة وقيادة الجيوش هكذا كان الحال في عصر للنسوة
المصومة ومبدأ للخلافة الراشدة فقد كان الصديق رضوان الله عليه
هو المختص بالقضاء ، ولكن عندما اتسعت للدولة الاسلامية وبادات
تتحول الى امبراطورية في عهد الفاروق عمر - رضوان الله عليه -
وجد أن من المسير عليه الاستمرار في تولي القضاء بجانب المهام
الجسام التي ألقيت على كاهله فاضطر الى تعيين قضاء يحكمون
بين الناس وحفظت لنا كتب التاريخ الاسلامي أسماء بعضهم ومن
أشهرهم :

أبو موسى الأشعري ، أبو الدرداء ، شريح ، وقيس بن المصاح
(وهو أول القضاة في مصر) .

ولهؤلاء في تاريخ القضاء الاسلامي صفحات ناصعة للبياض يخرج
عن نطاق بحثنا سرد بعضها .

وأجمعت كتب الفقه على أن يشترط في القاضي عدة شروط أهمها :
التقوى والعادلة والعلم والمعرفة والنكاح والحلم .

والذي يهمنا هو الصفة الأولى أو الشرط الأول وهو التقوى :

وهو ليس خاصا بالقضاء وحدهم ولكنه عام لكل من يتولى وظيفة عامة مثل المحافظين (للولاة أو العمال كما كان يطلق عليهم) والمحاسبين وخازن بيت المال (وزير المالية) والمفتى (كان لصديق يفتى في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام وبأذن منه - وكان يتولى الفتوى عدد من الصحابة منهم : عمر بن الخطاب ، على بن أبى طالب ، ولم الزمنين عائشة - والمباذلة الثلاثة : ابن مسعود ، ابن عباس وابن عمر) ، وأئمة الصلاة .

فهؤلاء لا يتمور في واحد منهم إلا يكون مصليا أو مزكيا أو حاجا (ان استطاع الى ذلك سبيلا) وغيرها من الأمور التي تكون صفة التقوى - ولكن هذه أصبحت من الأمور الشخصية البحتة التي لا يجوز حتى تولى الأمر التدخل فيها والا اعتبر متعديا على حرية موظفيه الشخصية فعلى سبيل المثال مادام القاضي عادلا وعالما وزكيا وطيها فليس من حق وزير العدل أن يقول له : أنت لا تصلى ولا تحج - إذا فعل ذلك يكون قد خرق الحصانة التي يتمتع بها القاضي .

وليس من حق رئيس الجمهورية أن يقول للمحافظ مادام قائما بأعمال وظيفته خير قيام أن زوجتك غير محبة - فهذا مسلك شخصي لا يحاسب عليه .

فتترك الصلاة وسنور الزوجة ، من الأمور التي تندرج في التقوى - أول شرط في تولى الوظائف العامة في الشريعة الإسلامية كما

السلفنا ، ولكن ممارسة هذه الاعمال ليست كذلك في القوانين السارية حاليا وبالتالي فهي لا تعدح في كفاية الموظف .

فالموظف الذي يتولى واحدة من الوظائف العامة التي اشرنا لبعضها من وجهة نظر السلفية ، لا يجوز له في نظر الشريعة الاسلامية على المثال لا الحصر :

- (ا) ان يظهر على البلاج بالمسيو .
- (ب) او يسير في الشارع وهو يدخل سيجارة .
- (ج) او يجلس على مقهى يلعب طاولة حتى مع احد زملائه .
- (د) او يمشى في الطريق مع امرأة اجنبية عنه حتى ولو كانت متحجبة .
- (هـ) او زار احد زملائه او لصقائه فلم يجده فجلس مع زوجته حتى يحضر .

- (و) الا تلتزم زوجته او لبنته للبالغ بلبس الحجاب .
- (ز) او يدخل مسرح منوعات او حفلة عامة فيها غناء (تغنى فيها وردة او صباح مثلا) .
- (ح) او يحضر حفلة عرس تصيبيها راتمة .
- (ط) او يشهد عرضا لفرقة فنون شعبية (فرقة رضا مثلا) .

هذه كما قلت امثلة وردت غزو خاطر ، لانها واشباهها تفسد من التقوى والورع والرموة التي يجب ان تولد في ذلك الموظف - في نظر الشريعة !! (اي كتب الفقه الفديحة التي يتصك بها السلفيون) .

في حين انها بالمقاييس الحديثة ليس فيها ما يمس باعتباره ولا كرامته فهي امور عادية قد يمارسها او يمارس بعضها ولا يجد

في ذلك حرجا ولا غضاظة ولا تجد فيها لادولة سبعا للمواخذة أو المساطة
ولا يجد فيها للناس خروجا على مقتضيات للوظيفة العامة •

فالوظف العام هو جزء من النسيج العام للمجتمع بأسره وتغيير قطعة
من هذا النسيج ليس له سوى اسم محدد هو (الترقية) أما تغيير
النسيج كله فهي عملية صعبة وشاقة ومعقدة ولا تتم بفرمان يصدره
السلطان ولا بقانون يخرج من مجلس الشعب الذي يريد الاخوة
السلفيون في آخر اطروحاتهم أن يكونوا اغلبيية فيه حتى يصلحوا
للكون •

تغيير المجتمعات له سنن الهية ونواميس كونية وقوانين طبيعية
ولجتماعية وعمرانية ليس من بينها لصدار للقوانين من ولى الامر
أو من مجلس الشعب •

ان تغيير المجتمع العربى قبل عصر المبعث اقتضى من سيدنا رسول
الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة وعشرين عاما قضى ، كل حقيقة منها في
كدح مستمر وجهاد شاق وهو المؤيد بالروح للقدس الذى وصفه للحن
تبارك وتعالى (نبى قوة عند ذى للعرش مكن) •

فكم يا ترى يلزم للاخوة السلفيين من الاعوام حتى يغيروا المجتمع
الحالى الذى يصفه منظروهم بأنه أشد جاهلية من الجاهلية الاولى
التي ورد ذكرها في القرآن الكريم •

وهم بشر عاديون ليس هناك قوة تؤيدهم •

ام أنهم يتوهمون ان السنن الالهية والقوانين الطبيعية سوف
تحلبهم وتتغير من اجلهم لجرد أنهم يهتفون بكل عزمهم واعلى
صوتهم :

ربانية ، ربانية ، قرآنية ، قرآنية ، لا شرقية ولا غربية •

إذا كانوا يمتدحون ذلك فقد ضلوا ضلالا مبينا لان الله لا يحابي أحدا وقد قطع هذا الامر في محكم تنزيله : (وإن تجد لسنة الله تبديلا) .

وللزام الناس بكلمة التقوى مسألة من سوء التقدير أن يقال إنها تأتي فجأة أو تتم بتشريع أنها هي من الأمور التي تحتاج إلى تربية ، بداهة لا تتعلق بمقتضى الوظائف العامة وخدمهم وإنما الناس جميعا فليس من اللين أن تأتي لأشخاص يمتدحون بكل أسف : أن الأمور التي نذكرنا بعضها هي من مقومات الحرية للشخصية وتقول لهم أن هذه أمور تمنحكم من تولى الوظائف العامة وتندح في أمليتكم لها لأنها تدخل بالشرط الأول وهو التقوى ، أن بعض المذاهب الفقهية يرى أن من يأكل وهو سائر في الطريق للعام لا يكون آملا لاداء الشهادة .

فما بالك بمن يفعل تلك الأمور ثم يريد أن يتولى وظيفة عامة ؟ ولا حول ولا قوة الا بالله ؟

إننا نضع هذه الحقائق أمام أنظار السلفيين المحدثين حتى تكون لديهم القناعة بأن النظرة السطحية للتطبيق الفوري وأن مجرد رفع الشعار فيه الكفاية والافناء ، كل هذا غير صحيح وضرره يفوق نفعه وأن هناك عشرات المشاكل يتعين حلها والعديد من الدراسات ينتوجب عليهم أن يقوموا بها : اقتصادية ، اجتماعية ، نفسية - إذا أرادوا لفكرتهم النجاح والتوفيق .

الفصل الثامن

مطلب التطبيق الفوقى

إذا نظرت الى الخاديين بتطبيق الشريعة فهم لا يخرجون عن من ذكرنا فى المقدمة وهم خليط من الراسماليين والبرجوازيين الكبار وبعض علماء الدين وبعض اعضاء البرلمان وأمرء اعضاء الجماعات الدينية حتى اصحاب الدافع الاجتماعى الذين يتوهمون أن تطبيق الشريعة الاسلامية سوف يملأ الأرض عدلا بعد ان ملئت جورا وسوف ياتى بالمرئ والسلوى نقول حتى هؤلاء من البرجوازية المتوسطة الطامحة الى مزيد من التطلعات ، وعلى ذلك فان مطلب تطبيق الشريعة هو مطلب فوقى ومن ثم فنجاحه مشكوك فيه لدرجة كبيرة - ان القاعدة العريضة من جماهير الامة المصرية لا صلة لها بمطلب تطبيق الشريعة ولا تعرفه ولم تسمع عنه شيئا •

ونحن نؤكد لاختونا للسلفيين المحدثين انه ما لم يصبح هذا المطلب مطلبيا جماهيريا شعبيا تؤمن به القاعدة العريضة وتتبناه وتمنته وتطالب به فلن يكتب له النجاح والتحقيق •

هذه سنة الله فى خلقه وهو ما نقول به للقوانين العلمية التى ينفرون منها ويقولون عن اصحابها انهم ملا حدة وعملاء واصحاب فكر مستورد •
عندما يصبح هذا المطلب جماهيريا لن يستطيع مجلس الشعب ان يؤخر اصدار قوانين الشريعة كما يتباكى السلفيون للجدد دائما وقد ملأوا طباق الارض شكوى من المجلس ورئيسه واعضائه •

فى تلك الساعة لن تستطيع قوة أن تقف فى وجه هذا المطلب ؟
وسوف يندعشون عندما يقرأون هذا الكلام ويقولون :

الليست الغالبية فى مصر مسلمة فكيف لا تعرف طلب التطبيق
ولا تهتم به ولم تسمع عنه ؟

والجواب على ذلك يسير غاية اليسر فالغالبية مسلمة هذا صحيح
ولكنها تحتاج الى نوعية مستمرة وذووب لا تعرف الكمال ولا يتسرب
اليها المال بان مطلب تطبيق الشريعة هو من ماله فى الحاضر
والمستقبل - ولكن من لذى يحول دون هذه النوعية ؟

هم المخادون بتطبيق الشريعة انفسهم لسببين :

الاول : ان الناس فقدت فيهم المبدأية لما يطالبون به .

الثانى : انهم لا طاقة لهم بطريق التوعية لانه شاق وعسير وهم
قد ذاقوا طعم الرقاعية .

مجلة اسلامية تمولها واحدة من بلاد النفط السعيدة وتصدر عن
عاصمة من عواصم المرنجة عقدت هذا العام حلقة دراسية ضمت لثبفا
من النجوم الساطعة والبدور اللامعة فى أفق الدعوة الاسلامية وكانت
للحلقة تدور حول تطبيق الشريعة - وتاملت الوجوه التى حضرت
وساغت نفسى كم واحد منهم يطبق على نفسه ما يدعو اليه :

فى معيشته وبيته واسرته وأمواله وملبسه ومركبه وسلوكه
الشخصى كم ؟ حتى تصدق الجماهير كلامه ؟ كم من اولئك بدأ بنفسه
واسرته ؟ مثلما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر
وعلى وعمار وبلال وابو ذر الغفارى وصهيب وسلمان الفارسى رضوان
الله عليهم .

ومثلما رأيت بعيني وأنا شاب منذ ما يقرب من أربعين عاما : الامام
الشهيد : حسن البنا قدس الله سره ؟ وكانت الإجابة للأسف البالغ :
لا أحد .

ان الغالبية العظمى من يطلقون على انفسهم بالدعاة الاسلاميين وفي
مصر على وجه الخصوص هم في الحقيقة ودون أن يغضب أحد منهم -
مقلولو أعمال دينية ، لا ينقصهم الا تكوين شركة يطلقون عليها شركة
(للوعظون العرب) فهم لا هم لهم :

الا المحاضرات في جامعات السعودية والخليج وكتلجة المقالات
والفتاوى والعواميد في صحف ومجلات تلك الدول وحضور المؤتمرات
لها فيها أو في بعض العواصم الأوروبية وللقه الدروس في تلفزيوناتها
واذاعاتها - أو كمستشارين في دولوين الامراء أو ائمة في مساجدهم
أو معلمين خصوصين للمحروسين انجلهم .

و أو قضاء شهر رمضان ما بين قصور الحكام والسلاطين أو في
المساجد الكيفة للهواء ، أو للجرى وراء الجولتز المالية للضخمة
والاشتغال بالفتاوى لدى ما يسمى بالبنوك الاسلامية وهم يعملون انها
أبعد ما تكون عن الاسلام ويقبضون منها عشرات الالوف من
الجنهات .

وبذلك أصبحت ثروات تلك الاغلبية من الدعاة تقدر بمئات الالوف
بل بالملايين وغدوا يعيشون عيشة مترفة دونها عيشة للبسوت في
عهد الملكية الغابر .

من سنوات عديدة كان واحد منهم يركب معى الاوتوبيس من محطة
باب اللوق عندما كان مكتبى قريبا منه ، ثم مشى في طريق المقاولات
الدينية اياه ، الآن : بناته تركب كل واحدة منهن المرسيديس وتذهب الى

للنادى اما الحجاب الذى ينادى به صاحب الفضيلة فهو للاستهلاك
الخارجى واكسب مزيد من الدنانير والريالات .

والامثلة كثيرة لان عددا منهم تربطنى به معرفة شخصية وبعضهم
زاملنى فى سجون عبد الناصر وسبحان من غير الاحوال .
وعامة الناس فى مصر تعرف هذا واكثر منه ومن ثم فقدت فيهم الثقة
الواجب توغرها فى الداعية وان يكون مثالا حيا لما يدعو اليه - ورضى
الله عن ام المؤمنين الصديقة بنت الصديق عندما وصفت المعصوم
عليه الصلاة والسلام فقالت : « كان خلقه القرآن » .
واذا افترق الداعية الى المصادقية استخفت الجماهير بكلامه لانها
تعرف انه لا يؤمن به اذ لو كان كذلك لطبقه على نفسه .

فكلامه لا يتجاوز خلقه أو لسانه ورحم الله شيخنا ولما بنا حسن
البناء كان دائما يقول : « ما خرج من اللسان لا يتعدى الاذن ، اما
ما يخرج من القلب فيستقر فى القلب » .

ولسنا سنجا حتى نقول لهؤلاء القاولين تخطوا عما انتم فيه حتى
يصدقكم الناس فيستحيل عليهم ان يتركوا ما هم فيه من رفاهة
وبلهنية ولكن الأمل معقود على الدعاة الجدد الصادقين للذين لا تنفسدهم
أموال السعودية ودول الخليج وتحولهم كما حولت سابقهم الى مقاولي
أعمال دينية لا هم لهم الا جمع مئات الآلاف بل الملايين من الدنانير
والريالات !!

طريق النوعية الشاق الطويل :

على بعد امتار من الممارات للشامخة التى تطل على ميدان الدقى
يوجد حى دبر الناحية وخلف النيات الاثينة التى تحيط بهوزارة.
الزراعة توجد عزبة أولاد علام ويتوارى على استحياء حى المجوزة
القديم وراء ناطحات السحاب التى تحيط بمسرح البالون وفى مواجهة

حي المهتسين الراتى هناك بولاق الذكور وعزب دلاور والورد وأنو
 فتادة ، نذكرها على سبيل المثال لا الحصر تسكنها الطبقات الكادحة ،
 شبه البروليتاريا أو قاع المجتمع في بيوت من الطوب اللبن تفتقر
 أغلبها الى المرافق الحيوية شوارعها متعرجة كمشية للشبان متربة
 تجم باكوام للقمامة وأسراب للذباب يستقون في الغالب من حنفية
 في الميدان ، ويتكسسون في حجرلت ضيقة خانقة كل الاسره : الاب ،
 الام ، والاولاد في حجرة واحدة وكل خمس حجرلت أو ست تستعمل
 دورة مياه واحدة .

والذين كانوا يخرجون في سبيل الله من مسجد انس بن مالك
 وجابوا قرى الوجهين البحرى والقبلى رأوا باعينهم كيف يعيش
 الفلاحون في قرى مصر المحروسة والظروف البائسة للأسوء
 والصعوبة التى يتواجدون فيها ، حتى ان معيشة الاولين تعذير
 بالنسبة لهم حلما من الاحلام المستحيلة التحقيق وعلى كل هؤلاء
 واولئك لا يتعاملون مع رجال الدين الا في دوضعين :

عند الزواج وفي صلاة الجيزة - ولا يعرفون من الإسلام سوى
 الشهاختين وهذا امر بديهي يرجع لعدة اسباب منها الامية المتفشية
 وامها انشغالهم في امور معاشهم وجريهم وراء فتات العيش الذى
 يفيض من الطبقة المترفة المتخمة التى ينادى بعضها بتطبيق الشريعة
 حتى يتم الحج بالجمعة كما يقول المثل الشائع في بلادى في الصعيد
 الاقصى وتمسك في يد رأس المال المستبد وفي اليد الاخرى بالسلطة
 الفاشية والذى يستغرب هذه الحقائق أو يقول انها من باب المبالغة
 فنحن على استعداد للذهاب معه الى تلك العزب والقرى في الريف
 سواء في الصعيد أو الدلتا ليرى بعينه ويسمع بأذنيه .

للجهل اللتام الشامل بامور الدين حتى فيما قد يراه القارى انه من
 الاوليات والاساسيات ولو شئنا ان نذكر لهم امثلة لتضخم حجم

الكتاب والذين أدوا فريضة الحج لمسوا بأنفسهم الامية الدينية والافتقار الى المعلومات الاساسية وكيف ان البعض يرى ان زيارة مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم هو الحج ولم يسبق له ان سمع عن الطواف أو التمسى أو رمى الجمار حتى بعد وصوله الى مكة المشرفة ، وكيف ان بعضهم يرمى الاحذية بدلا من الجمرات وللنواذر في هذا المجال عديدة وعجيبة - مع ان الذى يذهب الى الحج هم اغنياء للفلاحين وليسوا الاجراء أو الفقراء الذين لا طاقة لهم بالطواف التى تكلنها فريضة الحج ، وكما قال الامير العظيم في كتابه الرائع « المعذبون في الارض » : « اذا كان هذا هو حال المحسودين فما بالك بحال الحاسدين ؟ » •

هؤلاء واولئك هم المحتاجون الى جهود الدعاة ولو كان الدعاة مخلصين انزلوا اليهم في عزيمهم وقراهم واحياهم العشوائية يعلمونهم امور دينهم - وهذا لجزل ثوابا عند الله من حضور المؤتمرات في عواصم اوربا والسعودية ودول الخليج ولقاء المحاضرات والدروس في تلفزيوناتها واذاعتها ، والمخلد للقيمة الداعية في الاحياء الفقيرة والقرى والكفور تقرب الى الله من المساجد الكيفة والقصور الاميرية التى يتهاكك عليها مقالو الاعمال الدينية •

وان فعلوا ذلك كانت جوائزهم من الله انفع وبقى من جائزة الملك فيصل •

وعندما تنتقنه القاعدة للعريضة من جامعي مصر في امور دينها وتعرف حقيقته تؤمن بمطلب تطبيق الشريعة وتتنبأ وتنادى به ساعتها سيتحول الامل الى واقع والطم الى حقيقة لان صوت الجماهير لا يقف في طريقه شيء •

اما صوت البرجوازية المترفة بكل فئاتها ومختلف فصائلها التى تنادى حاليا بالتطبيق فهو لا يساوى عند الله شيئا ولا يغيره حكما

أدنى التفات والدليل على ذلك ان تلك البرجوازية منذ سنوات عديدة - كما تدعى هي - ترفع صوتها حتى ببح ولكن بدون جدوى فما زالت مشاريع القوانين حبيسة في ادراج المجلس التشريعي كما تقرر هي لا نحن ولان الحاكم يعلم علم اليقين ان دعاة البرجوازية يفتقدون الى المصادقية وانهم يقولون ما لا يظنون ولن دعوتهم ليست بريئة لوجه الله ولكن من اجل السلطة والحكم .

ووقوف القاعدة الجماهيرية المريضة تحت راية طلب تطبيق الشريعة لا يدع مجالاً للحاكم في التردد وانه اذا لم يفعل ذلك فقد مبرر وجوده كمنفذ لارادة الشعب ولكن للجماهير العريضة لن تتحمس لطلب التطبيق الا اذا تولعت لديها قناعة كافية بان ذلك المطلب في صالحها في الحال والاستقبال ، وهذا لا يتأتى الا بالكشف عن الوجه الصحيح والحقيقي للاسلام الذي جاء من عند رب العزة لحفظ كرامة بنى آدم كافة (ولقد كرمنا بنى آدم) ورعاية حرمة المسلم التي تقسم المصوم عليه السلام انها أشد حرمة عند الله تعالى من الكعبة الشرفة وانه (اى الاسلام) ثورة مستمرة ومبتهرة على كل قواصع الطاغوت في المال والسلطة والجاه وان روح الاسلام ونصه يابيان تماماً ان تتمتع فئة قليلة بكل شيء وتحرم الغالبية الساحقة او ان شئت قلت المسحوقة من كل شيء - وانهما يشجبان الثراء الفلأضى والغنى الطائى وفي نفس الوقت الفقر المدقع وان الظروف القاسية المشينة التي تعيشها الطبقة الفقيرة انما هي نتيجة مباشرة الإغتراب الطبقة المترفة المتخمة لحقوقها التي كفلتها لها الشريعة السمحة ، وان هذه الطبقة الفاجرة لا حق لها فيها هي فيه وان انتزاعها منها هو العدل - وان المال ديمة في يد صاحبه الذي استخلفه الله فيه فان لم يراع فيه حق الله وحقوق المسلمين اخذ منه - وان حاكم المسلمين رجل منهم ليس بافضلهم وليس له ان يجور عليهم ولا يعذبهم لو يضرب ابشارهم الا لاقامة حد من الحدود ولا يحد من حرياتهم لو يحجر عليها لان امهاتهم

قد ولحتهم لحرلوا كما ذكر ذلك الخليفة العادل عمر بن الخطاب - ويده على أموال المسلمين يد عارضة كيد الوصي على أموال اليتامى - وله من الراتب ما يصلح شأنه كخوفا رجل منهم ليس بأعلام ولا بأدنامهم .

وان الحكم امانة عنده فان خانها باى صورة من الصور عزلته جماهير المسلمين - وان الشورى ملزمة فقد شاور الرسول العظيم صلى الله عليه وسلم وشاور من بعده خلفاؤه الاجلاء ورضى الله عنهم وارضاهم وان التحكم الذى لا يقضى مبدأ للشورى فهو طاعت ، يكون للخروج عليه ضرب من الجهاد ثوابه عند الله عظيم (سيد للشهداء حمزة ورجل اقام لنام الى امام جائز فامره ونهاه فقتله) - منقذ عليه .

وان على الحاكم مسئولية عظيمة عليه ان يوفر لكل مواطن مسلم او غير مسلم العمل المناسب والسكن اللائم ووسيلة الانتقال المريحة والمستشفى اذا مرض والحرس ... الخ .

واذا عجز المواطن عن التكسب لاي سبب كالشيخوخة او المرض او الحادث القعد فان على الحاكم ان يؤمن له المعاش الذى يكفيه دون تقصير او اسراف .

هذه بعض القسمات للوجه الصحيح للاسلام التى على الدعاة المخلصين ان يوضحوها للجماهير العريضة وساعاتها سوف تعرف ان تطبيق الشريعة هو كيانها ومستقبلها وتقف وراء صفوها مترابطة ولا يمترض مسبقا شي ، ويصبح اللحم حقيقة وواقعا (ويوهذ يفرح المؤمنون بنصر الله) .



الفصل التاسع

حديث خرافة

قرأت مقالا لاحد الاخوة السلفيين عن ضرورة التطبيق الفسوري للشرعية لورد فيه بمعنى الحجج كلها قابلة للتفنيد ، يعني هنا منها واحدة ملخصها أن الشرعية الاسلامية ظلت سائدة في مصر منذ الفتح العربي حتى غزوة نابليون بونابرت فبدأ عرشها يهتز رويدا رويدا الى أن اخلت مكانها للتشريعات الوافدة من الغرب ماعدا الاحوال الشخصية .

وهو كلام تحوزه الحق العلمية وتنقضه شواهد التاريخ ورحم الله استاذنا عباس محمود العقاد حين قال : « ان كل قول لا يستند الى البحث ولا يستند للبحث فيه الى الدليل فهو حديث من احاديث الانشاعات ، ان لم نقل احاديث الخرافات » ، ولست ادري هل قرأ اخونا ايام تاريخ مصر الاسلامية ام لا ؟

فان كان قرأ واطلق قوله تلك فقد افترى على الشرعية ، وان لم يكن ، فلا يحق له اصدار الاحكام دون دراسة وتمحيص ، واننى ادعوه لذلك ، ليتخطى عن تلك الاطروحة العاطلة عن الاسانيد العلمية التي تؤازرها .

ولكى لا نجاريه في اطلاق الكلام على عواهنه فاننا نأخذ القارى الى سياحة عاجلة في تاريخ مصر الاسلامية .

واخترنا الفترة التي كانت فيها مصر مستقلة او شبه مستقلة ويتولى امورها حكام مستقلون او شبه مستقلين وهي الفترة التي بدأت

بالاسرة الطولونية على يد مؤسسها احمد بن طولون في منتصف القرن الثالث للهجرى واستمرت حتى نهاية عصر المماليك الشراكسة (السلطان النورى) قرابة الربع الاول من القرن العاشر للهجرى ، اى نحو سبعة قرون ، وذلك باستثناء فترة ثلاثين عاما (من ٢٩٢ هـ الى ٣٢٣ هـ) تسمى فترة حكام الخلفاء اعتبرت الاسرة الطولونية وسبقت الاخشيحية . قبلها كانت مصر تابعة للمدينة المنورة ثم دمشق وبغداد وهى ما يطلق عليها للفترة العربية وبعدما أصبحت تابعة لحكم آل عثمان . وفى كلا المهدين ، كان زمام الامور خارجها .

ونورد من الشواهد والادلة ما يفتح - من يريد الاقتناع - ان الشريعة الاسلامية لم تكن مسائدة بل هى تبرا لى الله جل جلاله مما كان يجرى فى مصر آنذاك فى كافة النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية والقضائية .

١ - سياسيا واقتصاديا :

نبدأ بأحمد بن طولون فبعد ان حكم نحو سبعة عشر عاما ورث الحكم لخمارويه ومنه للافضل أمير النجوش بن خمارويه ثم هارون ابن خمارويه ثم لشحيبان بن طولون ، واستمر الامر على هذا المنوال ايضا بالنسبة للأسرة الاخشيحية التى بدأت بالاخشييد ومنه الى افراد أسرته حتى آخرهم وهو ابو بكر محمد بن طنج فلما مات وثب على اريكة الملك خادمه ابو مسك كافور الذى هجاه ابو الطيب المتنبى بقصائد لاذعة أشهرها لادالية بعد ان كان يمدحه .

فلم تكن هناك بيمة يتولى الامر بموجبها الامام كما تنادى بها الشريعة الاسلامية ولا للشعب ولا لطوائفه او قضائته اى رأى فى نصبه .

وظل المال العام نهباً مستباحاً لأولئك للحكام يتصرفون فيه كما يشاؤون دون رقيب او حسيب وعاشوا عيشة مترفة بالذخيرة بينهم

الشعب في شطاف وصيفة - وبدامة ان استقصاء تلك الامور يحتاج الى مجلدات ونكتفى بذكر الامثلة التي تكل دلالة واضحة على ما نعتيه :

(ولما توفي احمد بن طولون خلف من الذهب العيين عشرة آلاف ألف دينار ومن الهاليك سبعة آلاف مملوك ، ومن العبيد السودان اربعة وعشرين ألف عبد ، ومن الخيول سبعة آلاف فرس ، ومن البغال والحصير ستة آلاف رأس ، ومن الجمال عشرة آلاف جمل ، ومن اللؤلؤ والجواهر والفيوليت مائة صندوق ، ومن التحف والفروش ما لا يحصى عدده وهذا خرج عن الفصايع والاملاك والبسلفين وغير ذلك) المختار من بدائع الزهور في وقائع الدهور ل احمد بن لياس الحنفى المصرى ، طبعة كتاب الشعب ١٩٦٠ .

اما ابنه جمارويه فقد كان مثلا فريدا في البذخ والاسراف مثل انفسائه بحيرة الزئبق والباسه قولثم اشجار بسفاته بالنحاس الطلى بالذهب ونثر السك والكافور على الرياحين وانبت انساب الخيول التي كان يحبها واستكثر منها الى ان ضاقت بها الاسطبلات تمامها مثل انبت انساب الفس السروفة) .

(وقد زوج ابنته الستة اسماء وشهرتها قطر القسدى الى الخليفة المنقذ وجهازها بجهاز اسطورى قل ان تجد له في التاريخ نظيرا حتى قيل انه لم يبق تحفة من كل لون الا حملها بها وبلغت نفقات الجهاز مليون دينار ولم يكف بذلك بل اعطاها مائة ألف دينار لتشتري بها من العراق ما قد تحتاج اليه مما يتعذر وجوده في البلاد المصرية وبنى لها بين مصر وبغداد قصرا على رأس كل مرحلة تنزل فيها ائمه بكل وسائل الراحة والرفاهية كأنها في قصر أبيها - ومن الطبيعي ان يظهر لهذا السفس اثره السيء على بيت المال) - الدولة الفاطمية في مصر وسياستها الداخلية - د . محمد جمال الدين سرور .

أما الاستاذ كافور فقد (خلف في خزانته) بعد وفاته ما قيمته نحو مليون دينار من الجواهر والذهب والسلاح والأمتعة) ومؤرخنا القريزي وصلى بالثروة التي تركها كافور إلى ست مائة مائون دينار (مصر في عهد الاخشيديين للدكتورة سيدة اسماعيل الكاشف - الطبعة الثانية ١٩٧٠ - دار النهضة المصرية) ، ومن الطبيعي ان يؤدي هذا المسخ من جانب الحكام إلى افكار سواد الشعب الذي لم يجد ملاذاً الا في الاعتقاد في الخرافات وكرامات الاولياء .

وبعد البيت الاخشيدى استولى الفاطميون على مصر وحكموها من ٢٥٨ هـ حتى ٥٦٥ هـ أي ما يزيد قليلا على ثلاثة قرون - والفاطيون كما هو معلوم شيعية ونظريتهم في الخلافة معروفة - ونحن لسنا هنا بصدد مناقشتها - إنما الذي يهمنا هو ما يقوله نقباء المؤرخين من انهم يؤمنون بفكرة تقديس الخليفة لدرجة انهم ، أول خلفائهم ادعى لنفسه الكثير من صفات التقديس والقصيدة التي امتدحه فيها الشاعر ابن هاني ، ورفع فيها إلى درجة الألوهية (لحكم فانت الواحد القهار) مشهورة وهم لا يعترفون بالبيعة بل يعتبرون الخليفة لها ما يرث أباه عن حبيبين لا انص ولا بد ان يعين الخليفة أو الامام ولي عهده قبل وفاته حتى لا يخلو العالم من امام (تاريخ الدولة الفاطمية للدكتور حسين ابراهيم حسن الطبعة الرابعة - ١٩٨١ - مكتبة النهضة المصرية) .

وتروى عنهم روايات لا تبلغ مبلغها الاساطير في العبث بالأمور العامة وكتب التاريخ القديمة والحديثة زخرة بوصف قصورهم ومواكبهم وحيازتهم للثروات الطائلة وحرمان الشعب منها قال المسحبي كان للممزر أخت تسمى سيدة الملك ، قيل انها توفيت في خلافة أخيها الممزر فوجد لها من الذهب ثلاثمائة صندوق ، ومن الفصوص الياقوت اللونة واللؤلؤ خمس وبيات ووجد لها مدهن من الياقوت الأحمر وزنه سبعة وعشرون مثقالا لم يعرف له ثمن ووجد لها من

الشقق انحرير الاحمر ثلاثون لاف قطعة) المختار من بدائع الزهور
في وقائع الدهور - احمد بن ابياس *

ويضيف اليها الدكتور حسن ابراهيم في كتابه تاريخ الدولة
الفاطمية - ثمانمائة جارية وان مخصصاتها السنوية كانت خمسين
لاف دينار *

ولم يفتقر المبت بالمال العام واكتناز، وحبسه عن المنفعة العامة
على الخليفة وامراء واميرات للبيت المالك بل امتد الى الوزراء -

اما بوق جوهر القائد وزير العز وجد له من الاموال ما لا يحصى
من جملة ذلك من الذهب المين ستمائة لاف الف دينار ومن ادرام
اربعة الاف لاف درهم ومن اللؤلؤ الكبار واليواقيت
اربعة صناديق مجلدة ومن القصب الزمرد لاف قصبه ومن الثياب
والديباج خمسة وسبعون لاف قطعة وسبعمائة خاتم فص من
الياقوت والزمرد واربعة قحور من الذهب وزن كل قدر مائة رطل
بخلاف الجوارى والعبيد والثروة الحيوانية والفرش والاملاك
والضياع (المختار من بدائع الزهور) *

وبرجوان وزير الحاكم بامر الله يقول ابن ابياس عن ثروته التي
خلفها عند قتله (فوجد له اكثر مما وجد لجوهر القائد) *

فكم بلغت تلك الثروة يا ترى ؟ اننا نفكر ذلك لخيال القارىء -
وبالمقاييل كانت طبقات الشعب في فقرات كثيرة - تعاني من المجاعات
الرهيبه - والطواغين ، وللقطع واختفاء المواد الغذائية ، وغلاء
الاسعار ويكفي ان نشير الى المجاعة التي حدثت في عهد الخليفة
المستنصر بالله الفاطمي الذي ظل جائعا على صدر البلاد اكثر من ستين
عاما وقد حدثت فيها من البلايا والمصائب والنظائج ما تشيب له
الولدان ويكفي ان تعرف ان الناس اضطرت الى لكل للكلاب وللقطط

ثم إلى أكل جثث من يموت من البشر واصطاح الزورخون على تسميتها
بالشدة العظمى (تاريخ الدولة الفاطمية للدكتور حسن إبراهيم) .
بل أن ابن أبياس يؤكد أن (طائفة من الناس كانوا يجلسون على
السقائف فلما مر بهم أحد من الناس اتقوا عليه تلك السقائف
ونشئوه بذلك الكلايب في أسرع وقت فلما صار عندهم ذبحوه في
الحال واكلوه بمظاهرة) المختار من بدائع الزمور في وقائع الدهور .

وشحت الأقوات ويضرب للسبى أمثلة لا تصدق :
كان بمدينة الفسطاط حارة تسمى حارة الطبق وكان فيها نحو
عشرين داراً ، كل دار تسوى في الثمن ألف دينار فبيعت بيوت
هذه الحارة كلها بطبق من الخبز ، كل دار برغيف فسميت يومئذ
حارة الطبق .

وخرجت امرأة من مدينة الفسطاط ومعه ربيع من اللؤلؤ الكبار
وقالت من ياخذ منى هذا اللؤلؤ ويعطينى عوضه قمها ظم تجدد ..

(المختار من بدائع الزمور) .

• واستمر الغلاء سبع سنين .

وكلها نتيجة مقومة للعبث بالأموال العامة والسرف الذي ليس
له مثل والذي مارسه أسلاف المستنصر بالله دون ولزغ من ضمير
ومن المضحك المبكى أن من جاء بعده من الخلفاء لم يتعظ من (الشدة
للعظمى) وما حدث فيه من بلاء فلما بالخليفة الظاهر بالله (وهو
من أحفاده) بعد أن تولى الخلافة (طعما بالتميين لا بالبيعة)
انكب على اللهو والطرب وشرب الخمر والاعتكاف من ذلك والأدهى أنه
لأنه كان كان يهوى ابن وزيره عباس وينزل إليه ويبعث عنده في
غالب الأوقات وأعداء صينية من ذهب فيها ألف حبة لؤلؤ كبار
وفصوص من الياقوت الأحمر والأسفر والزمرد والنفائى وألف نافذة
وعشرة آلاف دينار .

وبدأه أن الخليفة الظاهر بالله - الذي يدعى الانتساب إلى بيت النبوة الشريف - لم يدفع هذه الهدايا الثمينة من جيبه الخاص بل وهبها من بيت مال المسلمين .

ولو كان حكم الشريعة نافذا - كما يدعى اخونا - لكان جزاء الظاهر بالله للحرق بالنار حيا كما أورد ابن قيم الجوزية في كتابه (الطرق الحكمية في السياسة الشرعية) (أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه حرق اللوطية وقاتلهم حر النار في الدنيا قبل الآخرة) . وظل هذا الداء للربيل منتشرا في سلاطين المالك وراثتهم حتى أن الذي كان يولع بالجواهر ويكتفى بهن يعتبر شاذًا مثل السلطان حسن الذي قيل في حقه (لم يكن له ميل للشباب كمادة اللوك من قبله) ، للنجوم الزاهرة للجزء الخامس لأبي المحاسن نقلًا عن كتاب المجتمع المصري في عهد سلاطين المالك للدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور .

وبعد غروب شمس دولة الفاطميين مزغ نجم دولة بنى أيوب وأولهم الناصر صلاح الدين ورغم الامجاد التي حققها في ميدان القتال ودوره البطولي في ردع الصليبيين فإنه ورث ملك مصر إلى ابنه العزيز ومنه إلى ابنه المنصور ابن العزيز ثم المعادل سيف الدين - الكامل فالحامل الثاني ابن الكامل وأخيرا الصالح أيوب ابن الكامل (والأخير هو الذي استكثر من المال وكان ذلك سببا في قيام دولتهم) وانتهت دولتهم على يد آخر ملوكهم المعظم توران شاه ابن الصالح . وهذه الدولة استمرت من ٥٦٥ هـ حتى ٦٤٦ هـ أي ما يزيد قليلا على ثمانين عاما - ولوقوعها بين الدولة الفاطمية التي امتازت بالفخامة والبهاء والدولة المملوكية التي امتلا تاريخها بالحركة للدائبة فإنها لم تأخذ حظها من الشهرة رغم البداية المشرقة على يد مؤسسها صلاح الدين - وبناء القلعة التي تصد من أهم الآثار الإسلامية . ولكنها للأسف أصابها ما أصاب الدول التي سبقتها :

الطولونية والاخشيدية والفاطمية - من الالتفات عما توجبه الشريعة الإسلامية في كثير من الأمور من أهمها البيعة لولي الأمر وبدون دخول في جدل حول طريقة إنهاء صلاح الدين لدولة الشيعة في مصر فلا يوجد أحد من خلفائه تولى الملك ببيعة شرعية بل كلهم بدون استثناء تولوها إما بطريق الميراث الشرعي .

فكان كل ملك فيهم يورث مصر المحروسة الذي يليه كما يورث قصوره وأملاكه وليس لملائها ولا لفتحائها ولا لذوى الراى ولا للعامة أى وزن وكما قال الشاعر (ولا يستأفنون وهم شهود) أو بالانقلابات الدموية وسيرة الناصر صلاح الدين لا غبار عليها أجمالا ولكن ما إن مات حتى وقع الخلاف بين أبنائه ووثبوا على بعضهم ولم يقتنع أحد منهم بما هو فيه فحصل بينهم من الحروب والفتن ما يطول شرحه .

وكان صلاح الدين يؤمل في ابنه العزيز أمالا عريضة ولكن فراسته أخطأت فيه إذ لم يسر - لعزيز على طريقته بل سار مع الناس في اتبع سيرة (المختار من بدائع الزهور) .

ومن نتائج أعماله أنه أعاد الكوس التي أبطلها أبوه وزاد في شفاعتها وجاهر بالعلماء وفرض الضرائب على بيوت المسزولة وأماكن تماطى الحشيش وانصرف إلى الصيد والقتل وفيها لى حقه - ومن بعده تولى السلطنة ابنه الملك المنصور ولم يبلغ من العمر عشرين عاما الأمر الذي أدى إلى انفراد الأمير بهاء الدين قرقوش بأمر الحكم (وهو المشهور في الأمثال المصرية العامية) وطم أن ابنه فياس مدحه - وثار على المنصور أفراد أسرته وجرت بينهم حروب يطول شرحها حتى تمكنوا من خلعهم وتولى من بعده عم أبيه الأمير أبو بكر بن أيوب الذي ثقب بالملك العادل وكان يشقى بمصر ويميف بالقسام وارتفعت في عهده الأسعار وشحت الاقوات وعانى أفراد

لشعب الأميين (فصار للناس من شدة الجوع يتكئون القمل والكلاب والحمير والبغال والخيول والجمال حتى ما بقى بمصر ذابة فصار الناس اذا قوى احدهم على صاحبه يذبحه بيده ويأكله وفسار الرجل يذبح ابن جاره ويأكله ولا ينكر عليه ذلك ، ويذبح ولده بيده ويأكله من شدة الجوع وفقد من الاطباء جماعة كثيرة لاذ يدعونهم الى المريض فاذا حصلوا عندهم فى الدار يذبحونهم ويأكلونهم وكذلك للنساء الفواسل) المختار من بدائع الزهور .

هذا هو حال الشعب اما الملك للمادل فيحكى عنه انه كان شرها فى الاكل ، يأكل الخروف وحده . وبعد جاء ابنه الذى اطلق على نفسه الملك الكامل وبعد للمادل الثانى ثم الملك الصالح نجم الدين ايوب وهو الذى استكثر من مشترى المالك حتى ضاقت بهم القاهرة وصاروا يشوشون على الناس وينهبون البضائع من الدكاكين فضج منهم الناس فبنى لهم قلعة للروضة بالقرب من القياس واسكنهم فيها وسماهم المالك البحرية ، وهؤلاء المالك سوف يستولون على ملك مصر لمدة ثلاثة قرون الا ربعا ، وآخر ملوك البيت الايوبى هو الملك المعظم طوران شاه ابن الملك للصالح وكان سكيرا عنده خفصة ووهج فى الامور لحق جاهلا لا يدري ما يضره وما ينفعه كانه خشبة لذلك نار عليه المالك ولقى نهاية بشعة اذ مات حريقا قتيلا غريبا .

وبذلك زالت دون بنى ايوب من مصر كأنها لم تكن وسبحان من له الدوام (المختار من بدائع الزهور - لابن اياس) .

وبعد الأيوبيين جاءت دولة المالك الاتراك ثم الجراكسة :

ومن للمبت واضاعة الوقت الحديث عن طريقة تولى السلطة او السلطنة وهل كانت بمباينة من الامة او حتى اهل الحل والعقد او للعلماء .

فالمطريقة التي سادت آنذاك لما بالتوروث أو بالانقلابات القصر الدموية وبلغ بعضها حدا من الفظاعة تقشعر له الأبدان ومهدوا لقيام دولزتهم تمهيدا يفوق الوصف في الشناعة إذ ثاروا على الملك المعظم طوران شاه آخر من تولي السلطنة من الايوبيين ويصف ابن اياس نهايته المساوية للدمية بأنه (مات حريقا قتيلا غريقا) .

ومدة حكمهم التي استمرت من ٦٤٨ هـ الى ٩٢٢ هـ بداية بشجرة الدر وانتهاء بالخوري سلسلة متصلة من الجور والعنف والعريضة وكيس الحارات والتجريدات ونهب الاموال ومصادرة الثروات حتى أوقاف الجوامع والمدارس والجبانات والبيمارستانات لم تفلت من ايديهم للظلمة ولم ينج أحد مهما علا مركزه أو سميت مكانته من المصادر : للتجار ، الاعيان ، العلماء ، القضاة .

ولم يراعوا لأحد حرمة خالله تبارك وتعالى يقول في كتابه العزيز : ولقد كرمنا بنى آدم . ومادة للكرم على ما جاء في المعجم الوجيز لمجمع اللغة العربية والمختار من صحاح اللغة تعنى التعميم والتنزيه وكل ما يرضى ويصفح - ونبي الله المعصوم محمد صلى الله عليه وسلم أقسم بأن حرمة المسلم اعظم عند الله من حرمة الكعبة المشرفة - ولكنها عند المالك لا تساوى جناح بعوضة - ولم يحظ مواطن مسلم أو ذمي كبير أو صغير عالم أو جاهل ، فقير أو غني بحرمة لا في نفسه أو عرضه أو ماله أو منزله أو متجره - الا في فترات قليلة والاستثناء لا يقاس عليه - يقص علينا ابن اياس مؤرخ عصر المالك من حوادث ٩٠٤ هـ (عصر السلطان محمد بن قايتباي) :

وفيهِ نادى السلطان لسكران بركة القرطبي بأن يوقدوا بها وقدة سبع فيال متواليه فامتنلوا ذلك . وصار ينفذ في الراكب وبطوف للبركة هو واولاد عمه وإن رأى امرأة جميلة (في بيتها) هجم عليها

**وطلع من الطالق وأخذها نصيبا ، وضرب زوجها بالقراع في وسط
بيته (المختار من البدائع) .**

**وكثيرا ما قام المالك بشورات فيوالون الاجتماعات لليلية
وتأسيس العصابات السرية للهجاة ثم ينتشرون في الطرقات
والاسواق لنهب الحوانيت وخطف العمائم وانتزاع الخيول من
اصحابها ، بل أحيانا يهجمون على النساء في بيوتهن وفي الحمامات
فيخطفونهم وفي هذه الاحوال يفلق للتجار حوانيتهم ويسرعون الى
منزلهم كما تطلق الابواب التي تفصل أحياء المدينة ودروبها وربما
استمر الحال على ذلك لسبوعا يقاسي الناس طوالة أنواع الجوع
والفوضى والفرع) . المجتمع المصري في عصر سلاطين المالك للكتور
سعيد عبد الفتاح عاشور نقلا عن سيرة الظاهر بيبرس والمقريزي
في السلوك وأبى المحسن في النجوم للزامرة .**

**وهذا المصف شمل للجميع وملا الرعب من سلاطين المالك العامة
والخاصة حتى العلماء يحدثنا ابن لياس في حواشي ٨٩٢ هـ :**

**ان محب الدين ابو الطيب الاسيوطي للشافعي بلغه تغيير خاظر
السلطان عليه وقصد الاخرق به فلقى بنفسه عمدا في البحر (نهر
النيل) ولا حول ولا قوة الا بالله .**

**وشكت امرأة السلطان من نور الدين القراق لحد نواب المالكية
فأحضر وضرب بين يديه ضربا مؤلما وغرم مالا - والطريقة المالونية
للضرب آنذاك أن يسطح للشخص على الأرض ويضرب بالقراع
ضربا وجيما .**

**ولم يتورع السلاطين المالك عن تزييف النقود وغشها وانخاص
وزنها وارغام التجار والناس على التعامل بها حسب القيمة التي**

يحدونها هم ، لا بقيعتها الصحيحة الامر الذي اضطر التجار
لفلق ذكائينهم - فترتفع الاسعار وتنشع الاقوات .

وظهرت في عهدهم الطواغين والمجاعات ولو انها لم تبلغ حد
(الشدة العظمى) وكرد فعل لذلك كله اكتظفت المدن المصرية على عهدهم
بالمعدين أو لنسبناهم المعدمين والسوقة وأهل الفساد من الدماء والذين
كفنت تسميهم المراجع التاريخية : البلاصية والزعر والحرافيش
والشاعلية الذين يعملون في الاعمال الحقيرة والمنافية للأداب كإدارة
والقوادى وعاشوا في ضيق وعسر .

لما السلاطين والأمراء فقد حازوا الثروات الطائلة بكافة الطرق
المشروعة وغير المشروعة وعاشوا عيشة مترفة في قصورهم ومراكبهم
وملابسهم وجواريهم وعبيدهم ومطاعمهم ومشاربهم (في قصورهم
صنابير مياه ساخنة وباردة) وكثير منهم كان لا يلبس للثوب الا مرة
واحدة ويبدل أثوابه ثلاث مرات في اليوم ويشرف على الملابس
موظف مختص لما حريمهم وجواريهم وسرايرهم فكان في القبة من
البذخ والاسراف .

وكانوا (السلاطين والمماليك) لا يتقاضون عن معصية أو فاحشة
ظاهرة أو باطنة من اللواط إلى الزنا إلى الخمر إلى الحشيش -
ويتجاهرون بالفواحش ويتباهون بها ويتنافسون عايتها ويتضاعف
ذلك كله عند خروجهم للصيد :

(ومن ذلك ان السلطان شعبان كان يستصحب معه عند خروجه
للمصيد عددا من الفواني وجرار الخمر وأرباب الملاعب والملاهي)

والمواكب السلطانية في عصرهم بلغت حدا من الابهة والنفخنة
لا مثيل لهما .

(المجتمع المصرى فى عصر سلاطين اُماليك) -

وكان بعضهم (اميا لا يقرأ ولا يكتب فكانوا يخطون له على
الراسيم حتى يمشى عليها بالقلم) كما أورد ابن الياش فى حنى
الملك الأشرف اينال .

وتظهر فخامة ثرواتهم عندما يقفّر قلب للسلطان على أحد أمراءه
أو يشى به أحد المنافسين أو عند وصول خبر مؤامرة يجرها ضده
فيصادر أمواله وقد ذكر ابن لياس الكثير من هذه الفوائى التى
أوضحت عن عظمتها .

وعند وفاة السلاطين يخشون من الاموال الصائمة والناقصة اى
الجوارى والعتيد (على حد تعبير مؤرخى ذلك العصر) ما يغرق
الدعر وكأها من دم الشعب الذى رزح 'بان حكهم تحت ذير من
الظلم لا بوصف .

للخليفة والعلماء والقضاة :

فى ٦٦٠ هـ وصل الامر أبو العباس أحمد الذى تلقب بالحاكم بأمر
الله الى مصر واحتفل السلطان للظاهر بقومه وعقد له مجلسا
لبيعته وثبوت نمسه وبه انتقلت للخلافة للعباسية من بغداد الى
القاهرة .

ولكن أولئك للخلفاء لم يكن لديهم من الخلافة الا اسمها أو رسمها
فقد كانوا (سطوى السلطة ، والعوية فى يد السلاطين وهمتهم
مقصورة على التوقيع واعطاء التفويض بالحكم للسلطان وبالرغم
من أخذ تفويض من الخليفة للسلطان فان كثيرا من السلاطين
خلعوا بالرغم من ذلك التفويض ولم يكن للخليفة أن يختار السلطان
بل يختاره الامراء ويوافقون عليه) للعلاقات السياسية بين المماليك
والقول - د . ناهد حماد عاشور - جعبة دكر المعارف سنة ٩٧٦

وبلغ الضعف بأولئك الخلفاء المهازيل حدا غريدا ، حتى أن الإمة
انكمست ففدا السلطان هو الذى يولى للخليفة ويعزله حسب هواه
وللاسف أن هناك كثيرا من العلماء ساند السلاطين فى اللعب بالخلفاء
حدثنا ابن لياس :

أن قاضى القضاة علم الدين صالح البلقيني الشافعى افتى بأن
السلطان أن يعزل الخليفة ويولى غيره وعزل الملك الأشرف أيفال
الخليفة حمزه وولى أخاه أنجبالى يوسف الذى تكتب بالمستجير
بالله .

ولعل القارىء يذكر أن هذا الأشرف أيفال الذى تولى السلطنة على
مصر المحروسة فى غيلة من الزمن كان (لهيا لا يقرأ ولا يكتب) وقاضى
القضاة البلقيني هو خير سلف لبعض علماء أيامنا هذه الذى يزينون
لطواغيت حكام المسلمين كل ما يريدهونه ولديهم فتاوى جامزة كفتوى
البلقيني الشافعى فإذا صالح رئيس دولة العدو أخرجوا من أدرابهم
فتوى صدروها بالآية الكريمة (وإن جنحوا للسلم فاجنح لها) واعند
يا صاحب الفخامة معاملة صلح مع أعدى أعداء الاسلام والعرب منذ
فجر التاريخ الاسلامى حتى الآن ما دامت رولتينا وبدلاتنا سليمة
لا تمس وإذا أراد ملك أن يحكم حكما ديكتاتوريا فنبرى له علماء مملكته
السعيدة واتسموا بالله جهد إيمانهم أن الشورى غير ملزمة وقالوا
له : أحكم حسب مشيئتك السامية ، كما قال البلقيني الشافعى
للسلطان : من حثك عزل الخليفة ، ما دامت مئات الألوف بل
الملايين من الريالات تصب فى جيوبهم .

هذه هى للخلافة التى ما زال كثير من الاخوة الافاضل ينوحدون
عليها نوحا شديدا ويدعون بكل جراءة على الحق أنها شعيرة من
شعائر الاسلام ولا تقوم له قائمة الا بعودتها لكي يصير الخليفة ،
كما كان أسلافه فى عهد سلاطين المماليك ، المربة فى يد سلاطين

القرن الخامس عشر الهجرى • وكاننا نحن في حاجة نزيد من الشكليات التى لا تسمن ولا تغنى من جوع والتى تسمى الى الشريعة للسمحة وتزيد صورتها تشويها ومسحا في عين من لا يعرف الحقيقة •

واستخدم سلاطين المالك الخليفة والقضاة الاربعة (لكل مذهب قاض) جزءا من ديكور السلطنة ليس لهم من وظيفة سوى الطلوع الى القلعة لتنهئته في المواسم والاعياد وتلقى الخلع من السلطان وامراته •

ومما يؤلم ويحز في النفس ان القضاة كانوا دائما يقدمون الاموال والهدايا للحكام والامراء حتى يولوهم القضاء لانه غذا بابا مفتوحا على مصراعيه للثراء السريع التى يتمثل في قبول الرشاوى من المتقاضين واغتيلال اموال القصر واليتامى والحبوس والاورقاف (وكان في مصر آنذاك الحسن محمد ابن ابي زرعة الدمشقى وكان يطمع في قضاء مصر فسأل الاخشيدي في ذلك ويبدو انه قدم له بعض المال او الهدايا فاقف الاخشيدي عبد الله بن احمد عن النظر في القضاء في ذى القعدة وولى للحسين بن ابي زرعة -

مصر في عهد الاخشيديين للدكتورة سيدة اسماعيل الكاشف نقلا عن ابن بردى في ذيل الولاة والقضاة للكندى •

وفي عهد الفاطميين تضاعف نفوذ القضاء واخذ بانتهاه عهد تغلق السنيين منصب للقضاة (تاريخ الدولة الفاطمية للدكتور حسن ابراهيم حسن نقلا عن ابن حجر في : رفع الاصر عن قضاة مصر) •

ويروى لنا ابن اياس انه في ربيع الاخر من سنة ثلاث وسبعين وثمانمائة هجرية وهو يؤرخ لمهد الملك الاشرف قايتباي :

(تولى القاضي شهاب الدين احمد بن سعيد السوسي المالكي الذى كان قاضى الاستقرية وكان من اهل العلم والفضل وجرت عليه

أموال شتى وأذهب أموال شتى على وظيفة القضاء (المختار من بدائع الزهور في مواعيد الصحور .

(وقد عزل السلطان عبد الجبار الحنفى وأعاد البرهان الكرعى الذى سعى فى عودة لى القضاء بمال له صورة) المرجع السابق .
(وعندما يرضى السلاطين على مشايخ العلم والفقهاء والقضاة يظلمون عليهم ويفقدون عليهم الصبر) أرجع السابق .

(لكن القضاة لم ينجوا من ظلم السلاطين وعسفهم وشأنهم فى ذلك شأن سائر الناس يحدثنا ابن لياس عن الملك المؤيد الممردى أنه قبض على القاضي فتح الله واحتاط على موجوده من صامته وناعلق ثم أنه خنقه وذبحه ودفنه تحت الليل (المرجع السابق) .
والسؤال الذى يقفز الى الذهن :

إذا كانت هذه هى المعاملة الجائرة التى يتلقاها القضاة من الملوك الطواغيت أمثال المؤيد الممردى فكيف بسواد الشعب ؟

وإذا كان الخير فى سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) وفى أمته الى يوم القيامة فلم يكن كل العلماء والفقهاء على شاكلة البلمينى للشافعى الذى سبق ذكره بل كان منهم من يقف للسلاطين ويتحداهم ويقول كلمة الحق : (فقد أراد الملك الأشرف قايتباى أن يستولى على أوقاف المساجد والجوامع فجمع للخليفة القضاة والمشايع ليشاورهم فى ذلك فما لوا الى رايه (بداهة أن ذلك كان من تأثير الرعب) :

فبينما هم كذلك إذ حصر شيخ الاسلام امين الدين الاقصرائى الحنفى وكان قد تأخر عن الحضور فأرسل خلفه السلطان ، فلما حضر أعاد اليه كاتب السر الكلام الذى وقع فى لول المجلس ، فلما سمع هذا الكلام أنكره غلية الانكار وقتل فى الملا للامام من ذلك المجلس : (لا يحل للسلطان أن يأخذ أموال الناس الا بوجه شرعى

وإذا نفذ جميع ما في بيت المال ينظر إلى ما في يد الأمراء والجند
وحتى النساء فيأخذ منه ما يحتاج إليه وإذا لم يف بالحاجة ففي ذلك
ينظر في المهم ، أن كان ضروريا في التبع عن المسلمين حل ذلك بشرائط
متعددة ، هذا هو دين الله تعالى ، أن سمعت أبحرني الله على ذلك
وإن لم نسمع فافعل ما شئت ، فإنا نخشى الله تعالى أن يسألنا
يوم القيامة ويقول لنا : أم لا نهيتهم عن ذلك وأوصيتم له الحق (
ثم قام وانصرف وانفض المجلس من غير طائل) - المختار من بدائع
الزهور في وقائع الدهور .

ومن للبلاد الإسلامية في الطماء بمثل شيخ الإسلام الاتصرائي رحمه
الله ليقول - لسلطان المسلمين اليوم كلمة حق ؟؟؟ :

والذي خرجت منه بعد قراءة هذه الراجح أن القضية انحصرت
مهمتهم في الحكم في قضايا الأحوال الشخصية والأوقاف - لها الشق
الجنائي وهو تطبيق العقوبات فقد كان بيد السلاطين ولأهراء بداعة
أنهم قضوا بأموالهم لا بشريعة الله .

(وفيه جاءت الأخبار أن يشبك الدودار قبض على يؤنس بن عمر
الهوراري وقد تنبئه إلى بلاد القنوية وجرى معه لهور يطول شرحها
وآخر الأمر قبض عليه وقطع رأسه وبعث بها إلى القاهرة لطيف
بها وعلقت على باب زويلة ليأها) -

(وفي جمادى الآخرة عرض أحمد بن عمر على السلطان فرسم
بتسليمه إلى الوالي هو ومن معه وكانوا سبعة انفار فأركبهم على
جمال ونزلوا على باب زويلة فكتبوا الجميع وعكفهم بباب زويلة
ووسطوا منهم جماعة . . (والتوسيط هو ضرب الحكوم عليه بالسيف
بقوة أسفل السرة فينقسم جسمه إلى نصفين) .

والفهوم من رواية ابن اياس ان كلا من على يونس بن عمر الهوارى
واحمد بن عمر وجماعته كانوا من الذين يأبون الظلم ويتصدون للظلمة
بحليل ان ابن اياس يقول في حق الهوارى :

وكان مشهورا بالشجاعة وبعد ان لورد خبر احمد بن عمر وجماعته
عقب عليه : وتأسف عليهم الكثير من الناس فانهم كانوا من خيار
الناس .

ومن نافلة القول ان نذكر ان للشريعة الاسلامية قابى التمثيل
بالموتى بعد قتلهم (ان كان قتلهم قصاصا) ولا تحترف بالتكليب ولا
التوسيط .

(وفيه قبض على انسان زعموا انه نبش للقبور على الموتى ، وكان
يسرق أكفانهم فامر للسلطان بسحق وجهه وهو حي فصلخوه من راسه
الى رقبته ثم علقوه على باب النصر ولعنهم مطلقا الى ان مات) .
المختار من بدائع الزهور فى وقائع الدهور .

فهل هذا هو حكم الشريعة الاسلامية وهل فيها مثل هذه العقوبة
البالغة الوحشية ؟

ويحدثنا الدكتور سميد عبد الفتاح عاشور عن العقوبات الرميبة
التي ابتدعها سلاطين المالك والقي لا تمت الى شرع الله تبارك وتعالى
بأذى صلة منها : عدا للسجن والاعدام ، التشهير والتجريس وهي ان
يطاف بالشخص على حمار او تور ويضرب الجرس على راسه
والمساعلة تنادى عليه وحيانا تزفه المغانى ويوضع في عنقه ما يشبه
الهمون وفي نهاية المطاف يضرب وسط الناس بالسياط عقابا له
(نقلا عن ابن حنماق في الجواهر الثمين وابن حجر : في ابناؤ النمر)
والعصر بالمعصرة والتسمير والتوسيط والضرب على أى جزء من جسمه
سواء الرأس او الجسد او القدمين وتمتصعيل في ذلك المفرعة او الدرة

لو الضفيرة الضومى (نقلا عن السخاوى فى التبر المسبوك) - أما
 المسجون فاهربا فى عهدهم السعيد بلغ الحد من الشناعة يقول القريزى
 انها كانت مهولة من الظلم وكثرة البطوليوط والزواح الكريهة ويظل
 المسجون لمدة ثلاثة أيام كاملة لا يفوق شيئا (المجتمع المصرى فى عصر
 سلاطين المماليك .

ولعل القارىء انتفع أن هنا كله لا يقره شرع الله الخفيف ، وأن
 هذه العقوبات الجائرة يستحيل أن يحكم بها قضاة الشرع .

(٢) اجتماعيا :

تتشابك النظم والتشريعات القانونية التى تتأثر باتجاهات العرف
 والتقاليد مع النظم الدينية والمعتقدات والطبوس والشعائر مع النظام
 الاقتصادى المتمثل بالثروة كالزراعة والصناعة والتجارة وتقسيم
 العمل ونظام الطبقات ومستوى المعيشة وتكون جميعها (المجتمع) الذى
 يعنى علم الاجتماع بخراسة ظواهره ونظمه (علم الاجتماع للدكتور
 فاروق محمد المادلى) .

وإذا أن للنظم السياسية والمالية والاقتصادية والقضائية التى
 أوردناها فيما سلف كانت بعيدة عن الشريعة الإسلامية نصا وروحا
 فهل تختلف عنها الحياة الاجتماعية أم أنها ومى جماع تلك النظم
 تكون مثلها ؟

هذا ما سوف نحاول للكشف عنه فى السطور القادمة .

(١) فى الدولة المولونية :

تأسست على يد الأمير أحمد بن مولون وكانت شخصيته تتسم
 بالتناقض ولذلك وصفه ابن لياس بأوصاف متضاربة فهو يقول عنه
 (كان ملكا عادلا فى الرعاية سخيا منفا للشرعية يحب العلماء والصالحين)
 ثم يضيف بعد قليل (غير أنه كان سلفا للهداء شديد الغضب سىء

قيل مات في حبسه ثمانية عشر ألف انسان) وبذلك ينافس كبار الساجين وسافكي الدماء في التاريخ ولا احرى كيف ينفذ الشريعة ويموت في حبسه هذا العدد الهول من البشر = وسبق ان ذكرنا الثروات الطائلة التي خلفها عند وفاته .

ولا شك ان هذا المصنف وسفك الدماء واكتناز الاموال العامة اثر على الشعب اما ابنه الامير خمارويه فكان مثلاً غداً في السفة وتبذير اموال المسلمين وسبق ان ذكرنا بعض الامثلة على ذلك واستمر الملك يتنقل الى سلسلة من الامراء الضمايف يتولى كل منهم مدة يسيرة ثم يعزل .

ولا شك ان ذلك كله ادى الى سوء الاحوال وفي هذا يقول ابن ابياس (ولم تزل الاحوال مضطربة بمصر حتى ابتدأت الدولة الاخشيدية) - المرجع السابق ، ومن البديهي ان مثل هذا الظلم (موت ثمانية عشر ألف سجين في الحبس) وتبذير الاموال العامة (افسال خمارويه) وعدم استقرار الحكم كلها تؤثر تأثيرا مباشرا في الحياة الاجتماعية .

(ب) في الدولة الاخشيدية :

بخلاف الملوك والامراء الذين اوردنا نتقا من حياتهم المترفة اللاهية البافخة ، انقسم المجتمع الى ثلاث طبقات عليا انهضهم اليسار هم من كبار الموظفين والملك والتجار والوساط لحتهم بهم التعذيب والناس بعدهم زبد وجفاء وسيل غناء لكع ولكاع وربطة انضاع هم اخدم طعمه ونومه (الهمداني ابن الفقيه في مختصر كتاب البلدان) .

وعاش افراد الطبقة الاولى في ترف ظاهر يغتقون الخير والاحسان على الفقراء والمحاييج اما الاوساط فكانوا بين وبين ومما يحسب لهم انهم كانوا ينتقدون احوال البلاد بوجه عام اما العامة فقد عانوا شظف العيش حتى الجند فكثيرا ما قاروا على روسائهم وطلبوا بارزاقهم .

ولم تجد العامة ملاذا إلا في الاعتقاد بالخرافات وكرامات الأولياء ، وظهر
 دجلون أشاع بعضهم عن نفسه أنه رأى النبي عليه السلام وجبريل
 عليه السلام وعلى بن أبي طالب وآخر رأى (عبد الرحمن بن ملجم)
 قاتل على كرم الله وجهه وهو يستغيث مما ينزل له من عذاب اليم •
 فافتن بهم للناس •

واغرقوا في شرب الخمر ولم يكن ذلك وقتا على الشباب بل كان
 الشباب لا يتورعون عنه وانتشر الفناء والخراب في المجالس العامة
 والخاصة حتى أهل الورع من الفقهاء والعلماء لم يخرجوا من سماع
 المعنين والمفنيست وانتشرت الولخر ودور القمار واللواط وامتن
 كثير من الماطلين مينة تسمى (المطمح) وهو الذي يجلب الزبائن لدور
 القمار ومن جملة مهام المحتسب محاربة ذلك كله •

وكانت الاعياد مجالا رحبا للمبازل والفواضى والتكرات ولقت
 نظرى اشتراك المسلمين مع الاقباط في اعيادهم مثل عيد الايلا والقطاس
 وخميس العهد او القمص كما أسمته العامة مما يقطع بان الوحدة
 الوطنية عميقة الجذور في مصر بل ان حكام الاخشيديين شاركوا
 الاقباط فيها •

حتى ان المؤرخين القدامى مثل السعوى والمريزى وصفوا ليلة
 للقطاس بانها (لاهن ليلة بمصر واشملها سرورا) - مصر في عصر
 الاخشيديين للدكتورة سيدة اسماعيل كاشف •

(ج) في الدولة الفاطمية :

لم يتغير التركيب الطبقي في عهد الفاطميين واضيف اليه ما اطلق
 عليه المؤرخون طبقة الناربة وهم الذين قامت الدولة الفاطمية على
 اكتافهم واعتمدت عليهم وقولدهم ورؤساؤهم يعتبرون من طبقة
 الامراء • اما عامة الجند فانضافوا الى الطبقة الدنيا شأن الجند

على هو المصور في مصر واستمرت الامراض الاجتماعية كما هي بل
لم يتورع الفاطميون عن فرض الرسوم على بيوت الفواخش - مصر
في عهد الاخشيديين نقلا عن المقرئ في الخطط الجزء الاول صفحة
- ٨٩ -

وظل الغناء واللهو في الانتشار على عهدهم وتنافس في ذلك المم
والخاص ولو أن بعض الخلفاء كالحاكم بامر الله حاربوا وعل
الدكتور حسن ابراهيم الراسيم للشاذة التي أصدرها الخليفة المذكور
بشان النساء مثل عدم خروجهن ومنع منح اخفيكهن بأنه (من الحق
أن كثيرا من القبة يقع على عاتق النساء أنفسهن لما نالهن من
تضييق الحرية ذلك لهن كن يكثرن من الخروج ليلا ويتفحصن في حمات
الامه والروائل) (تاريخ الدولة الفاطمية) .

وللفاطميين اعيادهم الخاصة مثل عاشوراء (ذكرى مقتل الامام
الحسين عليه السلام) ومولد الامام على والسجطين الحسن والحسين
عليهم السلام وغدير خم - ولكن الاعياد الاخرى مثل مولد النبي عليه
الصلاة والسلام والافطار والاضحى ونصف شعبان استمرت على حالها
وكذلك الاعياد (القبطية) التي ذكرناها .

(وكانت مجالس العرب والغناء تقام على شواطئ الخليج بالقاهرة
في اوائل عهد الحاكم بامر الله فلما تجلى الانقلاب الاجتماعي من جراء
هذه المجالس أصدر الحاكم قوانين بعضها يمنع سماع الموسيقى
ويحرم البعض الآخر الغناء والامه التي تعد خطرا على الاخلاق
العامة) - الدولة الفاطمية في مصر ، الدكتور محمد جمال الدين
سرور .

وفي الاحتفال بعيد الفوروز كان المصريون مسلمين ونصارى ينزلون
في المراكب ويضربون الخيام على شاطئ البحر (يعني نهر النيل)

عند القياس كانت تحصل فيها مفاسد عظيمة الامر الذى اضطر بعض
 خلفائهم الى منعها مثل المزمز والحكم ولكنها عادت كما كانت في
 عهد العزيز الذى خلف والده المزمز الذى (احتفل بالثوروز احتفالا
 عظيما كما احتفلت الدولة الفاطمية بغيره من الاعياد والمواسم التى اخطت
 شكلها النهائى في ذلك العصر) تاريخ الدولة الفاطمية - د^ر حسن
 ابراهيم حسن .

ومن تسامح في الاحتفال بالاعياد المصرية للخليفة الظاهر لدين الله
 (وهو من أحفاد المزمز لدين الله ، وبينه وبين الأمر بالله خليفة) وبه
 يقول ابن اياس :

(وفي أيام الظاهر بالله أذن لاحتفال مصر فيها كان يعمل في ليلة
 القطن بالديار المصرية وكان هذا الامر قد بطل أيام المزمز وكان من
 أجل المواسم بمصر - ذلك أن ليلة القطن وهي في الحادى عشر من
 طوبة - تجتمع جماعة من المسلمين وجماعة من الاقباط عند شاطئ
 النيل قدام القياس ، فيتنصب هناك الخيام على جانبي النيل وتوضع
 فيها الاسرة ليعين الاقباط من الرؤساء ، وكان البحر يمتلئ بالراكب
 والزورق ويجمع فيها السواد من الخمار والعام من المسلمين
 والنصارى ، فلذا دخل الليل تزين الراكب بالقناديل وتشعل فيها
 الشموع وكذلك على جوانب القنوط من بر مصر والروضة ، وكان
 يشعل على على القنوط في تلك الليلة اكثر من ألف مشعل وألف
 فانوس وتنزل رؤساء القبط في الراكب ، وكان ينفق في تلك الليلة
 من الاموال ما لا يحصى في مآكل ومشارب ووتجاهر الناس بشرب
 الخمر وتجتمع ارباب الملاهي والملاعب من كل فن ، ويخرج الناس في
 تلك الليلة من الحشد في اللهو والفرجة ولا يفتق في تلك الليلة دكان
 ولا دواب ولا سوق وكانوا يهادون رؤساء الاقباط في تلك الليلة بانطنان

القصب واللبورى والحلاوى والقاهرة والكثيرى والنفاح للفتحى
والسفرجل والانتزج والتارنج والليمون المراكبى وطلقات النرجس وغير
ذلك من الانواع اللطيفة ...

وبعد العشاء يغطسون فى بحر النيل القصارى مع المسلمين سوية
ويزعمون أن من يغطس فى تلك الليلة يامن من الضعف (أى المرض)
فى تلك السنة - المختار من بدائع الزهور فى وقائع الدهور *

ومن أهم الاحداث التى وقعت فى عهد الدولة الفاطمية - اجتماعيا -
الشدة المستنصرية أو الشدة العظمى التى حولت البشر لى وحوش
تاكل بعضها بعضا ومى حية - وباع القصابون للحوم البشرية بدلا
من لحوم الحيوان -

وفى غروب الدولة الفاطمية تولى الامر خلفاء ضعاف واصبح الزمام
بيد الوزراء - وحدثت مذابح وقتل عديدة وحوادث شنيعة كان آخرها
حرق مدينة الفسطاط فى عهد آخر الخلفاء لفاطميين الماضد بالله
بمشورة خرقاء من وزيره واستمر الحريق واحدا وخمسين يوما حتى
صار الدخان يرى من مسيرة ثلاثة أيام وصارت من يومئذ كيமான كما
قال عبد الله بن عبد الحكم (المختار من بدائع الزهور -) *

وانتت تلك الفظائع فى عامه للتاس وعاقبوا من الرعب مالا طلاقة
لبشر به يضاف الى ما عاشوا فيه من بلاء ومجاعات وقحط وشح فى
الاقوات وغلاء من الاسعار *

(د) دولة بنى لهيوب :

إذا استثنينا فترة حكم الناصر صلاح الدين فان الحياة الاجتماعية
فى مصر على عهد الايوبيين كانت سيئة فقد كان الشعب يعاني من
المكوس التى كان صلاح الدين قد لبطها فلذا باعنه العزيز بالله قد

اعادها وزاد في شفاعتها ، وانتشرت الخمر بل حملت اوانيتها جهرا
من غير انكار - وكانت بيوت الدعارة وامكن الحشيش تجد الحماية
من الدولة وفرضت عليها الضرائب الثقيلة ولم يقدر احد على معارضة
امكن الفسوق ومصارف طاحون الحشيش عمالة في كل يوم -
واضطربت الاحوال لقلة العدل وكثرة العصى والفسوق - المختار من
بدائع للزمور لابن لياس .

واثرت انقلابات الحكم على الاحوال العامة وختمت دولتهم بالاحق
السكير الجاهل تتورانشاء الذي شبهه ابن لياس بالخسبة كما ذكرنا .

ومن اعم مظاهر الانحلال للخلق في عصرهم السعيد نقى الرشوة بين
الحكام والمحكومين حتى ان القرى يذكر ان :

اصل الفساد في عصره هو تحكم الرشوة في ولاية الخطط السلطانية
والنائب الدينية كالوزارة والقضاء وولاية الاقاليم وولاية الحسبة
وسائر الاعمال بحيث لا يمكن للتوصل الى شيء منها الا بالمال الجزيل (
القرى في اغاثة الامة - نقلا عن المرجع السابق .

وسبق ان ذكرنا بعض الأمثلة عن القضاء .

ومن الأمراض الاجتماعية التي تمكنت من نفوس العامة وعقولهم
الاعتقاد في كرامة الاولياء والشيخ والمبلة في التوسل بهم وبأضرحتهم
لتحقيق المآرب او الشفاء من الأمراض ، وفي الجاذيب الذين
يأتون اقوة لا شاة وزيارة الأضرحة والقبور والزارات والايمن
بالمعتقدات الباطلة والخرافات والاساطير والخرعبلات - مثل التنجيم
والسحر والعمل والاتصال بالجان واستخدامها في الأغراض المطلوبة
وغالبا ما تكون غير مشروعة وكلها تبرا منها الشريعة واساسها الج
والامية (كثير من السلاطين والامراء كانوا أميين) وكرد فمسل لل
والقمع للذين عانى منهما للشعب . وتتضاعف الموبقات والاثام

تحصل في الاعياد والمناسبات في عهدهم (ويكون يوم كسر الخبز يوما مشهودا في القاهرة ومصر لا سيما جزيرة الروضة حيث يحضر البشر فيخرجون الى النيل على هيئة موكب حيث يستاجرون السفن ويمالونها بالطرب والغناء - واعتاد السلطان فرج بن برقوق ان يحتفل بيوم النوروز احتفالا كبيرا فيقضى اليوم مع خدمائه في معاقرة الاشراب والراح .

وماذا تنتظر جموع الشعب من مثل هذا الحاكم المثلون .

ونذكرنا فيما سبق حدوث مجاعات عظيمة في عهدهم اضطرت السواد الاعظم الى اكل الحيوانات فلما انقرضت اكلوا لحوم البشر حتى كان الشخص يأكل ابن جاره فان لم يجد لكل ابنه وبذلك اختلت المولزين في عهدهم بصورة جنونية .

(هـ) الدولة الملوكية :

طبقات المجتمع ما زالت على ذات التركيبة سوى ان السلاطين والامراء حلوا محل الطولونيين والايوبيين ولكن تفاقمت الامراض الاجتماعية وزاد الفساد والاضلال لان السلاطين والامراء ضربوا اسوأ المثل في التهلك والجور والخلاعة والجور بالفواحش والتفاجر بالعاصي والناس على دين ملوكهم كما يقول المثل بالاضافة الى عدم الاستقرار السياسى وسوء الاحوال الاقتصادية التى الحيا الى امثلة منها ولذا انتشر الزنا في عصرهم بل اعترفت الدولة بالبغايا وفرضت عليهم ضرائب مفرطة جمعت منها جملة مستكثرة ونظمت عملهن اذ جعلت لهن ضامنة تذهب اليها محترفة البغاء لتسجيل اسمها عندها ووقفت البغايا بالاسواق تحت اعين المارة وعم بلاد الصعيد والوجه للبحرى حيث خصص لهم حارات مربية معينة) - المجتمع المصرى في عصر سلاطين المماليك للدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور نقلا عن القرىزى في السلوك وأبى المحاسن في النجوم للزاهرة والسيوطى في حسن المحاضرة .

وسبق ان ذكرنا انتشار اللواط بين السلاطين والامراء واعتبار من يقتصر منهم على النساء شاذاً ناقص الرجولة وضرباً على ذلك بعض الامثلة (وتفيض الراجع بالخبر للخاصات والمشاخص بين امراء الممالك بسبب تشوق ائدهم لفلان مملوك لاخر بل ان كتبنا خلق من السلطنة ٦٩٦ هـ بسبب غلام) .

ومن المؤسف ان هذا الداء للوبيل انتقلت عدواه الى كل الطبقات : العامة ورجال العلم والسياف والادهي من ذلك : الصوفية (الفقراء) والقضاة انهم بذلك ابن حجر في ربح الامر . وصار للحشيش شأن كبير في عصر سلاطين الممالك بل ان دولتهم كما فعلت في البغاء فرضت على المخدرات ضريبة تمد الدولة بجملة كافية ولم يقتصر نقشيه على الطبقات الدنيا واهل الخلاعة والسخف بل الى غيرهم حتى شغف به كثير من العلماء والقضاة وبلغ الامر ببعضهم ان لفتى بحله واشتهر الصوفية (الفقراء) بحبهم لتعاطي الحشيش لانه في زعمهم يساعد على الذكر والفكر حتى لطلق معاصروهم عليه (حشيش الفقراء) ونظم احد الصوفية في حلقائه سعيد السعداء قصيدة عصباء في نقضيه على الخمر - وكانت باب اللوق من المراكز الهامة لتسويقه .

ولم يكن هو المخدر الوحيد الذي عرفه المصريون في عصر الممالك فهناك من قضاة ذلك العصر من اتهموا بتعاطي الافيون - المرجع السابق نقلا عن ابن حجر في لبناء الخمر .

والخمور نافست المخدرات في الذبوع والتبول من السلاطين للعامة وسميت انواعاً منها باسماء بعضهم مثل التنبيد القتر بغاوى (نسبة الى الأمير بشتك) وقيل عن السلطان فرج انه عندما كان يعود من الصيد يشق شوارع القاهرة وهو لا يكاد يثبت على فرسه من شدة السكر ، وبعضهم يعكف في قصره على شرب الراح ومعه خدماؤه من الامراء حتى لا يكاد الواحد منهم يفارق ساعة واحدة .

وحاكمهم الامراء وتجاهروا بشربها علانية اهلهم للناس وتهادوا بها في مناسباتهم السعيدة وهكذا شاعت بين باقى الطبقات وفي كثير من الحفلات والافراح الشعبية اعتبرت الخمر ممتمة للمغانى وبلغ للفساد بلحد الفقهاء ان راعن اصحابه على شرب الخمر وهو على المنبر وكسب الرهان (المرجع السابق نقلا عن المختار في كشف الاسرار للجوزى) *

وحاول بعض السلاطين ان يضع حدا للمفاسد التى تحدث يوم النيروز ولكن جهودهم ذهبت ادراج الريح اذ كان المصطلح عليه عند المعاصرين مسلمين وذهبيين ان النيروز عيد قومى *

ومن الاعياد التى شارك فيها المسلمون لخولتهم الاقباط في عصر السلاطين عيد الشهيد وفيه يخرج عامة اهل مصر والقاهرة على اختلاف طبقاتهم فينصبون الخيام على شاطئ النيل ويركبون الخيول ويقيمون عليها (بحيث لا يبقى مخن ولا مخنية ولا مخنث ولا ماجن وخليخ الا وخرج في هذا العيد وفيه يغالى كثير من شرب الخمر - ويتعدى ما يباع منها يومها بمائة الف درهم - المرجع السابق نقلا عن المؤرخين القدامى : ابن اياس ، ابى الحاسن والمقريزى *

ونورد فيما يلى بعضا مما ذكره ابن اياس في وصف ما كان يحدث في بعض تلك الاعياد : (وكان الناس قد خرجوا عن الحد في الفتك والقصف بسبب الفرجة ونصبوا الخيام حتى سدوا رؤية البحر وصاروا يقيمون في الرمل ليلا ونهارا من نساء ورجال وهم في غاية التزخرف) *

وعن يوم النوروز (من اجل المواسم بالديار المصرية وفيه يتجاهر الناس بشرب الخمر وكثرة الفسق في اماكن المتفرجات حتى يخرجوا في ذلك عن الحدود) المختار من بدائع الزمور *

وضاقت نساء الطبقة العليا بالحجاب واخذن يتفنن في تزيينه
بما يليق بمكانتهن وبما اديهن من ثروات فعمدن الى لبس (المصائب
المقزعة والسراقوس المزير) وما أشبه الليلة بالبارحة اذ تمهد بعض
نساء الطبقة البرجوازية الكبيرة في ليامنا هذه الى لبس الحجاب
الشيك ذى المصائب اللونة والمندشة .

تشد السلطان على شبك الختسب اذا وجبوا لمرأة بمصايبه
مقزعة وسراقوس حريير يضربونها ويجرسونها وللعصابة معلقة في
رقبتها فطلق النساء من ذلك واقطن عن ذلك واستمر الحال على ذلك
مدة يسيرة ثم رجعن الى ما كن عليه ولم يلتفتن الى تحجر السلطان
في ذلك) - المرجع السابق .

اما الغناء والطرب فقد بلغ في عهد المالك لوجه وكانت الدولة
تأخذ ما يسمى (ضمان المغني) وحظي الغنيون والمغنيات والراقصات
بين كافة طبقات الشعب من ادناها الى اعلاها حتى ان السلطان
الملك الصالح تزوج مغنية وتجب منها ولدا فكارا . بين (على
ما كان للمغنيات من منزلة في تلك البيئة ويقال ان ثلاثة ملوك
ذلك العهد لخوة تنافسوا على تلك المغنية واسمها انتساق)
(للطرب في العصر المملوكي ل محمد قنديل البقلى نقلا عن تغرى بردى)

وسبب فوز السلطان الملك الصالح بها انه اشترى لها عسبة
مرسعة بالجواهر بلغ ثمنها اكثر من مائة الف دينار .

وبديهي انه نهبه من بيت مالى المسلمين وحرم منه الزعر والحرافيش
والشاعلية وسائر الطحونين وأهداه لتلك المغنية .
واشتهرت مغنيات وراقصات منهن هيئة للذيفة وخديجة الرحابية
وأصيل القلعية والريسات انعام وبحرية وام خوخة - وحازت بعضهن
ثروات طائلة من عطايا السلاطين والامراء والياسبر من التجار

والملك وسبق أن ذكرنا أن الطبقات الشعبية لم تجد ما تسد به رمقها سوى امتهان كرامتها باحتراف المهن للوضيعة والمخالف للاداب .

* * *

السطور السابقة لا تعنى أننا نغبط حق للدولة الايوبية في دورها المجيد في دحر الغزو الصليبي ولا المالك في هزيمتهم البطولية لجحافل التتار ولا ننقص من قيمة الاثار الاسلامية الباهرة التي خلفتها الدول الاسلامية الخمس موضوع هذا البحث .

أو أننا نغال من قيمة الفنون بل أننا نؤمن ايمانا عميقا بان الفنون الراقية ضرورة لازمة لرفى الشعب والنهوض به .

ولكننا من ناحية خاطبنا الاخوة السلفيين بلغتهم ، ومن ناحية اخرى فاننا نعتقد ان تلك الاعمال البطولية والاثار الخالدة كان من الممكن تحقيقها مع تطبيق احكام الشريعة اذ لا تعارض بين الامرين وانه ليس من الضروري لو المنطقى انجازها مع ايقاع الظلم والجور والمسف على الشعب وخاصة الطبقات المسحوقة .

فهذا منطوق مرفوض .

ثم نرجع الى موضوعنا فنقول :

هذه بانوراما مركزة (ان صح التعبير) لما يقرب من سبعة قرون من تاريخ مصر الاسلامى ونعود لاختينا الذى ذكرناه في اول هذا الفصل ونسأله :

في اى ناحية من النواحي كانت للشريعة الاسلامية مطبقة :

السياسية ام الاقتصادية ام القضائية ام الاجتماعية طوال هذه القرون وای دولة من تلك الدول الخمس للتعهدت خط الشريعة الاسلامية ولو حتى بنسبة ضئيلة وفي اية ناحية ؟

ألا يسئ إلى للشرعية من يدعى أنها كانت سائدة وحاكمة في أي
منحى من مناحى الحياة خلال تلك الحقبة ؟

لو أن شخصا قرا هذا التاريخ بما فيه من مأس ومهازل وقيل له
أن هؤلاء الناس حكموا ومحكومين كانوا يصحرون في أفعالهم عن أوامر
الشرعية ونواهيها ؟ فكيف يكون حكمه على الشرعية التي تبيح
كل تلك المظالم والاهوال والفساد والانتحال ؟

اليس من الواجب على الأخ (لياخ) ومن على شاكلته أن يراجعوا
أنفسهم أن كانوا حقيقة كما يقولون لنهم حماة للشرعية وقرساتها
المساوير ، وحتى لا يصادمهم الناس ويقولوا لهم أن الادعاء بسيادة
الشرعية وتطبيقها طوال تلك القرون إنما هو حديث خرافة •

(٧) استقطاب علماء الدين الكبار ومشاهير الدعاة للعمل في السعودية ودول الخليج بمرتبات اسطوانية ما كانوا يحملون بها في في المنام ولا في اليقظة سواء للعمل في الجامعات او الاذاعة او التلفزيون حتى غنوا من المليونيرات (وهذه ليست بمبالغة) وما يستتبع ذلك من تحولهم الى مبشرين للرجعية الدينية والافكار المتخلفة السائدة هناك مع تسليط الأنواء عليهم ليصبحوا رموزا شبه مقدسة أو حاول احدهم نقدها أو توجيهها فكانها قال كلمة الكفر ، وهذا ما لم يحدث مع العلماء الاكابر من السلف الصالح .

(٨) للسيطرة على دور النشر سواء بالمشاركة في رأس المال او باحضار أحدث آلات للطباعة والتصوير والجمع الالى . الخ لها من اوروبا وامريكا . وفي بعض الحالات انشاء دور جديدة وهو ما تقوم به السعودية على الاخص وليس سرا ان عددا كبيرا من دور النشر الجديدة والقديمة تدعين لها بالولاء المطلق .

وتحرص هذه الدور على نشر الكتب السلفية المحافظة المعادية لكل محاولة لفتح باب الاجتهاد او اعمال العقل هذا في مجال التراث اما في للتأليف الحديثة فهي تركز على الكتب التي تصرف الناس وخاصة الشباب عن واقعهم المعاش حتى لا يفكروا في تغييره .

ورحم الله عبد الرحمن الكواكبي عندما قال (وكذلك لا يخاف المستبد ، من العلوم الدينية المتطرفة بالمعاد ، المختصة بين الانسان وربيه لا اعتقاده انها لا ترفع عبادة ولا تزيل غشاوة) - طبائع الاستبداد - تحقيق د. محمد عمارة .

وتشتري السعودية من هذه الكتب سواء من التراث المتخلف او الحديثة البعيدة عن الواقع الوف للنسخ وتندفع فيها ما يطلبه الناشرون دون نقاش لتوزعها على طلابها وعلى المسلمين في مواسم الحج وعلى ضيوئها وترسلها الى الدول الافريقية والاسيوية المسلمة مساهمة منها - نحر الله لها - في نشر ، الثقافة الدينية - التي

تخدم مخططاتها .

(٩) الحملة المسعورة الشرسة على العلمانية والعقلانية ورموزها بداية بالعميد الدكتور ملة حسين وانتهاء بالدكتور فرج فودة وهرورا بالدكتور زكي نجيب محمود والدكتور فؤاد زكريا ، بل وخط الأوراق في مسألة العلمانية حتى انتهى الامر بالسلفيين الجدد الى ان كل من يدعو الى اعمال الفكر وتحكيم العقل وكل من لا يتكلم لغتهم ويمجد الافكار المتحجرة التي اصبحت من معروضات المتاحف غدا علمانيا ملحدا يستحق ان يداس بالانعال كما قال واحد منهم في تصريح مشهور له ، ويتلقى من جماعاتهم رسائل تهديد بالقتل .

(١٠) تسليط الضوء على للحكام الذين ينادون بتطبيق الشريعة الاسلامية حتى ولو كانوا طفلة وأبعد ما يكونون عنها وعن سماحتها وعملها واطلاق البخور بين ايديهم وازجاء قصائد المديح لهم مثلما حدث في السودان مع النمري المخلوع في المؤتمر الذي عقده في الخرطوم بمناسبة مرور للعام الاول على تطبيق الشريعة فقد حضره منهم دعاة واساتذة مرموقون اقوا خطبا رنانة تمجيدا في للخليفة السادس والذي لم يذهب منهم الى هناك ارسل بركاته ودعواته اما في شكل برقيات أو بكتابة في الصحف ، ونفس الشيء مع طاغية الباكستان الذي يحكم عشرات الملايين من المسلمين بالحديد والنار والمعتقلات والسجون اذ كرمته احدى الجامعات المريقة في مصر بمنحه الدكتوراه الفخرية مكافاة له على دكتورويته وضربه اسوا مثل للحاكم المسلم على مر العصور .

هذه الظواهرات ليست تلقائية ولم تحدث اعتباطا وانما دبرتها بأحكام جهات متعددة منها خارجية وداخلية (لا تخفى جميعها على نظرة القارئ اللبيب) يهيمها في المقام الاول دفاعا عن مصالحها حجب الصورة المشرفة والصحيحة للاسلام وحتى لا يستيقظ للملاق

لنأثم ونعني به جماهير الشعوب المسلمة مطالبة بحقوقها في الحرية والكرامة والعيش الكائن - هذه الشعوب هي التي ترتد عنها فرائس الامبريالية وعلى رأسها امريكا والانظمة للرجمية الحاكمة في السعودية ودول الخليج والدكتاتورية الفاشية في باكستان والطفلة الفاشية في ايران وعلى رأسها روح الله آية الله الخميني وامام المسلمين كل المسلمين قدس الله سره .

وهناك كثيرون يقومون بتنفيذ تلك الظاهرات مثل الشبان الملتحين والفتيات المتحجبات يؤدين ادوارهم بحسن نية معتقدين انهم بذلك يخدمون الاسلام غير مدركين للمخططات التي يجربها في الخفاء اعداء الاسلام الذين يدفعونهم لقبض الصورة المسوخة عن الشريعة الاسلامية السمحة حتى يسفروا من الاسلام واحله في العالمين مثل الصورة القاتمة لكاريكاتورية التي ينقلونها من داخل ايران ويعلنون بكل وسائلهم الجبارة ان هذا هو الاسلام هؤلاء هم اتباع محمد .

مع ان الذي يعقبه الخميني في ايران هو تجمد ما يكون عن الشريعة السمحة ومن لا زالت عنده ذرة من شك بعد الممارسات الشعة التي مارسها النظام الفارسي للناسم هناك ، عليه ان يقرأ قانون العقوبات الذي اصدرته الزمرة الحاكمة هناك ونسبته لشريعة الاسلام ، حتى يتأكد من صدق ما نذهب اليه .

وحتى ينشغل من يؤدون تلك الظاهرات عن الجوهر الحقيقي للدين الاسلامي والتحرر العظيم من التوجه الاشتراكي الذي يحتويه والذي تتأزر الامبريالية الفاسية والرجمية الحاكمة والطواغيت الدكتاتورية على طهره حتى لا تحققة للجماهير المسلمة عندما تنقبه اليه فتدك مصالحها وعروشها وكراسيها التي حصلت اليها دون وجه حق .

ولكن الذي لا شك فيه ان تلك للجهات سواء للطائفة لهذه الظاهرات وامثالها او للذين ينفذونها بحسن نية او عن دراية -

كلها سوف تبوء باذن الله بالاخفاق الذريع لان الفصائل التي ترفع
وريات التقدم والاشتراكية والتي تكشف وتوضح للناس بجهودها
التواضعة ولكن في عزم لا يلين ولا يعرف الكلل عن الوجه الشرق
والصحيح للاسلام هي التي سيكتب لها النصر ان شاء الله لان هذه هي
حتمية التاريخ . (سنة الله في الذين خلوا من قبل وان تجد لسنة الله
تبديلا) الاحزاب / ٦٢

وبعد :

ناثني أتوقع أن المسطور السابقة سوف تثير الكثيرين وتبحث
على غضبهم وكما حدث بعد نشر بعض مقالات لنا في جريدة
الأهالي :

- المجلات الاسلامية ستخرج علينا بكلمات ليس فيها الا
الاكليسيهات لياها التي تحمل لفاظ السباب والشتم والسخرية
والاتهام بالكفر والاحاد والشيوعية والعمالة والتبعية وطلب حلق
اللحية (والهزة فكاهة للسفهاء وصناعة للجبال) كما حكى الأصمعي
عن العرب .

- أمراء الجماعات الاسلامية سيثيرون علينا اتباعهم ليرسلوا لنا
خطابات التهديد والوعيد بالقتل واعدل للهم كما فعلوا معنا ومع
غيرنا من الكتاب الذين حاولوا أن يقولوا كلمة فيها عقلانية وبها
تنوير .

- وغيرهم ربما يستعدون علينا جهات اخرى لان ما كتبناه
في نظرهم يدخل في دائرة المحظور الذي لا يجوز للعقل المسلم ان
يتخطاه -

خاصة وان ما حررناه فيه كشف لما تدبره الامبريالية الامريكية
من مؤامرات ضد الاسلام الصحيح والمذكورة لها اصدقاء يغضبون
لغضبها ويرضون لرضاعها - وفيه مساس بـ (ست الكل) - المملكة

العربية السعودية وجرح لشعورها المرفح الحساس ولها في الساحة
الحينية عشرات المحبين والريدين والمحاسيب الذين يرون أن ذاتها
مصونة ، والمساس بها خروج عن الملة .

وفي ما كتبناه نقد لما يجري في إيران ، والثورة الفارسية لها
الآن معجبون يطمنون أن تفتح لها فروعاً في البلاد العربية ويزعجهم
هذا النقد ويثير حفظهم -

ورحم الله عمر بن الخطاب القائل :

قول الحق لم يدع لي صديقاً .

ورضى الله عن ولي الله سنيان الثوري فيما حدثنا عنه طاووس لما
قال : من تكلم واتفق الله خير من صمت واتفق الله .

ونذكر هؤلاء وأولئك بالحكمة للقائلة :

« صديقك من صدقك إلا من صدقك »

فمنذما نجته - مجرد اجتهاد - ونقول لهم أن المطالبة الفورية
بتطبيق الشريعة الإسلامية لها دولف من ورائها ، أعداء لا يريدون
للاسلام الخير ، وأنهم حتى ينجحوا في طلب التطبيق هناك شروط
موضوعية لا بد من توافرها وهي مفتقدة حالياً وتعلم على طريق
تواجدها ، وأن مثل باب الاجتهاد لأكثر من عشرة قرون جعل من
الفقه الذي كان سائداً آنذاك وبين واقع للناس المعاش حالياً سوء
سحيقة لا بد من بذل الجهود المصنية لاجتيازها بسلام ، وإن الوجه
الصحيح والحقيقي للاسلام هو الجوهر الذي يتعين عليهم أن يتكاتفوا
الانفصار وابرازه لجماهير المسلمين بعد توعيتهم بأمر دينهم حتى
تتكون القاعدة المريضة الصلبة من ورائهم والتي لا يستطيع الحاكم
أن يتجاهل مطالبها أو يرد كليتها .

وعندما نفند آراء أبي الأعلى المودودي وسيد قطب - رحمهما الله -
تفنيديا مستقي من كتاب الله وأحاديث الرسول وآراء الائمه الثقات

لا نكون قد ارتكبنا جريمة فقد تعرضت لطروحات كبار الفقهاء على طول التاريخ الاسلامي للمعارضة وقديما قال الامام الاعظم ابو حنيفة النعمان (اذا جئنا الى التابعين فنحن رجال وهم رجال) ومن بعده وسع امام دار الهجرة مالك بن أنس دائرة الحول ففي أحد دروسه في المسجد النبوي أشار الى المقام الشريف على صاحبه الصلوات والسلام وقال :

« كل شخص يؤخذ منه ويرد عليه الا صاحب هذا المقام » .

وبهذا ازداد الفقه الاسلامي ثراء وعمقا وأصبح من مفاخر الاسلام وهذا الاجتهاد أو ذا شئنا الحققة هذه المحاولة بداهة لا تخرجنا عن الملة ولا تحل معنا أو عرضنا ولا تجيز لآخواننا للسلفيين المحدثين أن يرمونا بالكفر والاحاد وقد نهى المعصوم على ذلك - في احاديثه صحيحة يحفظونها جيدا وهم أولى باتباعها فهم كما يقولون عن انفسهم الاتباع المخلصون له عليه السلام .

وليعتدوا على سماع الرأي الآخر بصدر رحب وعقل مفتوح وليردوا بالتي هي احسن وليقولوا للناس حسنا كما امرهم الله جل جلاله في كتابه العزيز .

عندما نقول لهم ذلك ونحن نصدقهم القول ولا نجاريهم بالكلمات الانشائية التي يقيارى في تحبيرها غيرنا ممن يعتلون الموجة وهي اسهل عشرات المرات من الذي سطرناه وهو اجتهاد (وبداهة لا نعنى الاجتهاد بمعناه في اصول الفقه) اذا اصبنا فيه غشا من الله تبارك اسمه وجل جلاله اجران وان اخطانا فلننا اجر كما حدثنا المعصوم عليه الصلاة وأزكى السلام - والمولى نسال ان يكتب لنا الاجرين .

وبخاتريخ الاسلامى ملئ بالمؤلف الرائعة التي قال فيها كلمة حذ من يعتقد انها حق وصواب ولو ظن انها ستجر عليه المتاعب واج على الله .

تمرات في كتاب امالى الزجاجى الذى حققه فضيلة الاستاذ عبد الله

هارون (جزاء الله عن التراث للخالد النافع اجزل مثوبة) الموقف
التالى مع الاختصار :

« كان محمد بن سليمان الهاشمي (وهو من ولد عبد الله بن عباس
رضي الله عنهما) واليا على البصرة في خلافة العباسيين فقرا على
النبر : (ان الله وملائكته يصلون على النبي) بالرفع فعلم انه قد
لحن (اى خطأ) فبعث الى النحويين (علماء النحو) وقال لهم
خرجوها ، فلما تعطف على موضع ان ، لانها دلخنة على الابتدا
والخبر باستثناء واحد منهم كان يحمل في جنبه لمانعة العلم فسكت
ولم يتكلم واغت ذلك نظر الامير وقال له ما تقول ياشيخ ، فاجبت عليه
نفسه ان يسكت عن قول كلمة للحق خلاصة وان الخطا يتعلق بآية
في كتاب الله العزيز ، فقال : اصلح الله الامير ، انتم اهل بيت النبوة
ومعدن الرسالة والفصاحة وتقرأ ان الله وملائكته بالرفع وهو لحن
فقد لحن صلتهم - يقول للعالم التشجاع نو الضمير الحى :

لا وجه له ؟ ، فقال له الامير : جزاك الله خيرا ، قد نبهت ونصحت
فانصرف مشكورا - اما الباقون الذين خرجوا اللحن (برروا للخطا)
فلما صرت في نصف الدرجة اذ قاتل يقول لى : قف ، فوقفت وخفت
ان يكون اخو الامير قد اغراء بى ، فلذا ببغلة سفواء (سريعة) وغلالم
وبدرة (كيس فيه عطاء من المال) وتخت ثياب وقاذل يقول : قد
امر بهم الامير فانصرفت مقتبضا *

ونحن لا ننتظر من اخواننا السلفيين المحدثين لا بغلة سفواء ولا
بدرة ولا تخت ثياب وكل ما نرجوه منهم ان يكونوا عنا اذا هم ولا
يطلقوا اقلامهم والسنتهم فينسا بسوء وان يحاورونا حولوا موضوعيا
حادثا كما امرهم بذلك الاسلام -

فهل هم فاعلون ؟

والله اسأل لى ولهم الهداية والتوفيق

خليل عبد الكريم

المراجع :

أولا - القرآن الكريم وعلومه :

- ١ - القرآن الكريم .
- ٢ - نفوير المتباس في تفسير ابن عباس - الفيروز آبادي .
- ٣ - تفسير مقاتل بن سليمان - تحقيق د . عبد الله شحاتة .
- ٤ - التفسير - للزمخشري .
- ٥ - تفسير القرآن العظيم - ابن كثير .
- ٦ - تفسير الجلالين - الحلي والسيوطي .
- ٧ - في ظلال القرآن الكريم - للشهيد سيد قطب .
- ٨ - المفردات في غريب القرآن - للراغب الأصفهاني .
- ٩ - أسباب النزول - للوالحدى النيسابوري .
- ١٠ - أسباب النزول - للسيوطي .
- ١١ - علوم التفسير - د . عبد الله شحاتة .
- ١٢ - التبيين في علوم القرآن - محمد علي الصابوني .

ثانيا - الحديث الشريف :

- ١٣ - مسند الامام أحمد بن حنبل .
- ١٤ - سنن الدارقطني .
- ١٥ - مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه - للشهاب البوصيري .
- ١٦ - نيل الأوطار - للشوكاني .

ثالثا - كتب اسلامية :

- ١٧ - الاعتصام - للشاطبي القرناطي .
 - ١٨ - القانون الجنائي الاسلامي - الشهيد / عبد القادر عودة .
 - ١٩ - اسلام ولواضاغا السياسية - الشهيد / عبد القادر عودة .
 - ٢٠ - اصول الفقه - د. زكريا البري .
 - ٢١ - بين الدعوة القومية والربطة الاسلامية - ابو الاعلى المودودي
 - ٢٢ - منهاج الانقلاب الاسلامي - ابو العلا المودودي .
 - ٢٣ - الاجتهاد في الاسلام - للامام محمد مصطفى المراغي .
 - ٢٤ - للفروق - للقرافي .
 - ٢٥ - للسياسة الشرعية في اصلاح الراعي والارعية - ابن تيمية .
 - ٢٦ - للتوحيد والتفسيح - د. كلثم الصديقي .
 - ٢٧ - دعاة لا قضاة - حسن اسماعيل الهضيبي .
 - ٢٨ - الطرق الحكمية في السياسة الشرعية - ابن قيم الجوزية .
- ### رابعا - كتب التاريخ الاسلامي :

- ٢٩ - المختار من بدائع الزهور في وقائع الدهور - محمد ابن اياس الحنفى مطابق للشعب ١٩٦٠
- ٣٠ - مصر في عهد الاخشيديين - د. سيد اسماعيل الكاشف .
- ٣١ - تاريخ الدولة الفاطمية - د. حسن ابراهيم حسن .
- ٣٢ - الدولة الفاطمية في مصر - د. محمد جمال الدين سرور .

٣٣ - المجتمع المصري في عصر السلاطين المماليك - د. سعيد عبدالفتاح عاشور *

٣٤ - العلاقات السياسية بين المماليك والمغول - د. فايد حامد عاشور

٣٥ - الطرب في العصر المملوكي - محمد قنديل البقلي *

خامسا - كتب عامة :

٣٦ - التعريفات - الجرجاني *

٣٧ - مدافع آية الله - محمد حسنين ميكل *

٣٨ - آمالي الزجاجي - تحقيق الشيخ عبد السلام هارون *

٣٩ - طبائع الاستبداد - عبد الرحمن الكواكبي - تحقيق د. محمد عمارة *

٤٠ - علم الاجتماع - د. فاروق محمد العادلي *

سادسا - دوريات :

٤١ - مجلة الطليعة المصرية - الاصدار الثاني - عدد يناير / مارس
سنة ١٩٨٥

طُبعت بمطابع

شركة الامل للطباعة والنشر ت : ٩٠٤٠٩٦

وكلما يجتمع المظالمون في تطبيق الشريعة. ولي ان اهم سبب لهم الاتية الشريعة من سيادة الخلافة (ومن لم يستقم بما اذن الله فاولئك هم الكافرين / الظالمون / المفسدون) يفترونها من سيادتها القرائن ويقتضون بيدها وبين اسباب نزولها ولو وضعوها في سياقها القرائني المدهجز وترونها باسباب نزولها لتبين اهم اذيات فزات بشأن الحدود التي وردت في الذميمة لبعض الجرائم التي - اول يهود عيسى المبعوث - عدم اقامتها على تركيبتها ولاشأن لها بتطبيق الشريعة الاسلامية . وهذا ملجأ في ادعاءات تدب التفسير ، واثبت المؤلف بالدليل القاطع ان الدفع في هذه الخصوصية بان الصورة بدسهم اللفظ لا بخصوص السبب دفع مردود ولا مكان له .

هذا هو المحور الاول من المحاور المهمة التي يدور عليها هذا الكتاب . ما المحور الثاني فهو ان اقامة الحدود التي فزات في القرن الاول من الهجرة المباركة على مجتمع القرن الخامس عشر الهجري تحتاج الى ثمنية مديدة وجهد شاق سواء بالنسبة للمجتمع ذاته او لادلة الثبوت على الجرائم التي شريعت الحدود من اجلها او للاجهزة التي تقوى اقامتها ، والا كانت السقطة مودية مثل محاولة الطاغية الذميري في السودان الشقيق ..

وثالثها ان قضيته تطبيق الشريعة الاسلامية لها محاذير وطريقها ملء بالمسكيات والمزالق ، وان هناك قوى خارجية وداخلية تقف وراء المطالبة بها ، لابد من التعريف بنواياها حتى تتكشف الخطة التي تهدف اليها وانما ليست لوجه الله تعالى ولا لصالح الاسلام والمسلمين

كما حاول المؤلف - بعد عمله في مجال الدعوة الاسلامية لمدة تزيد على اربعين عاما - عبر هذا الكتاب - ولو بطريق مفهوم المضافة - الحقيقة التي يؤمن بها اليسار الاسلامي ايماننا راسخا وهي ان الاسلام عقيدة صالحة لكل زمان ومكان .